السبت 16 تشرين الأول 2021
العدد 4465 السنة السادسة عشرة
Samedi 16 octobre 2021 nº 4465 16ème année

24 صفحة
2000 ليرة

الأخبار
al-akhbar

www.al-akhbar.com

كلمات

لويز غلوك
توغل
في الظلمة

«القوات» تزهو بالمجزرة... والتحقيقات الأمنية غير منسّقة

أميركا تهدّد ميقاتي: ممنوع المسّ بالبيطار

(هيثم الموسوي)

تحتجب «الأخبار» يوم الاثنين لمناسبة ذكرى المولد النبوي الشريف

«القوات» تزهو بالمجزرة والتحقيقات الأمنية غير منسقة

أميركا تهدد ميقاتي: ممنوع المس بالبيطار

شيع حزب الله وحركة أمل، أمس، في الضاحية والجنوب والبقاع والشمال، شهداء كمين الطيونة الغادر الذي نفذه عناصر من القوات اللبنانية أول من أمس. فيما باشر مفوّض الحكومة لدى المحكمة العسكرية بالإنابة القاضي فادي عقيقي تحقيقاته، وتفقد مسرح الجريمة، وكلّف مديرية الاستخبارات في الجيش جمع المعطيات. وسحب عناصر من المخابرات تسجيلات عدد كبير من كاميرات المراقبة الخاصة بالشركات والأبنية في المنطقة، وطلبت مديرية المخابرات من قوى الأمن الداخلي تزويدها بنسخة من تسجيلات كاميرات التحقق المروري.

ووسط تضارب كبير حول التحقيقات تبيّن أن التوقيفات التي يجري الحديث عنها تشمل فعلياً من سبق للقوى الأمنية أن أوقفتهم أو

> **الثنائي لعون وميقاتي: يجب تنحية البيطار... أوجدوا الطريقة التي ترونها مناسبة، وهذا مطلب لا عودة عنه**

لاحقتهم على خلفيات جنائية، فيما يجري التعتيم على «حالة خاصة» تعود إلى شخص من آل طوق، ليس من سكان المنطقة، موجود في مستشفى أوتيل ديو في حال حرجة، ويجري التكتم على وضعه وظروف إصابته.

وعلى رغم أن النيابة العامة التمييزية طلبت من كل الأجهزة الأمنية التحقيق في الجريمة، إلا أن أجهزة بارزة نفت تلقيها تكليفاً خطياً وواضحاً بالأمر من عقيقي الذي يطلب من كل الأجهزة تزويد مخابرات الجيش بما لديها من معطيات. علماً أن رئيس جهاز أمن الدولة طوني صليبا تشاور مع الأمن العام وقوى الأمن الداخلي في لائحة أسماء عناصر قواتية يعتقد أنها شاركت في إطلاق النار. كما تحدث أمنيون عن معلومات لم يجر توثيقها بعد تتعلق بقدوم مجموعات من خارج منطقة عين الرمانة إلى المحلة عشية المجزرة.

في غضون ذلك، أكدت مصادر الثنائي الشيعي أن الملف «بات في عهدة القوى الأمنية، ونحن ننتظر النتائج. وفي حال لم تُعالج كما يجب فإن الجريمة لن يُسكت عنها... والأيام قادمة». وأكدت المصادر أن الطرفين لا يزالان على موقفهما بأن «وزراء حزب الله وحركة أمل لن يشاركوا في أي جلسة للحكومة إلا إن كان على جدول أعمالها بنداً أو ثالث لهما: تنحية المحقق العدلي طارق البيطار ومجزرة الطيونة، ولن يكون هناك نقاش في أي بند آخر قبل البت بهما... ولا تراجع عن ذلك». وهو الموقف الذي نقله وزير الثقافة محمد مرتضى إلى موفدي الرئيسين ميشال عون ونجيب ميقاتي، مؤكداً أنه «يجب تنحية البيطار... أوجدوا الطريقة التي ترونها مناسبة، وهذا مطلب لا عودة عنه».

وعلمت «الأخبار» أن ميقاتي كان يبحث أمس في إمكانية الدعوة إلى عقد جلسة حكومية وإحراج الثنائي، إلا أن مقرّبين منه نصحوه بعدم الإقدام على ذلك. وقالت مصادر مقربة من حزب الله وحركة أمل إن «ميقاتي يحاول تحييد نفسه وتصوير الخلاف على البيطار على أنه بيننا وبين رئيس الجمهورية ميشال عون والوزير جبران باسيل»، مؤكدة أن «الموقف من حضور مجلس الوزراء لم يتغير. وهناك تواصل بين الحزب وباسيل، لا سيما

جعجع «يتبنّى» المجزرة

تبنّى سمير جعجع، أمس، مجزرة الطيونة بالقول إن «اللبنانيين ضاقوا ذرعاً من حزب الله... وإذا تعدى أي شخص علينا سندافع عن أنفسنا». ووصف الكمين الذي نفّذه عناصره في الطيونة بأنه «ميني 7 أيار هدفه التحقيق في جريمة المرفأ». وأسف لأن «مديريّة المخابرات تقوم باستدعاء أشخاص من عين الرمانة، كانوا يجلسون في منازلهم ومنطقتهم، والأولى استدعاء من أتوا للتعدي عليهم، لأنه الأصح استدعاء المعتدي قبل المعتدى عليه». وأكد أن «هدفنا الأول قلب الأكثرية الحالية لأنها أوصلت البلاد إلى ما نحن عليه اليوم وتيار المستقبل يكون أحياناً مع الأكثرية وأحياناً مع الأقلية وبعد مش عارف حالو».

في موضوع المحقق العدلي».

ويسود الانقسام «العدلية» حول أداء البيطار. إلا أن غالبية من يرون شوائب ومغالطات وتجاوزات دستورية في عمله يحاذرون إعطاء موقف ضده. فيما عُلم أن وزير العدل هنري خوري يناقش خطوات تحضر أرضية تمهد لاتخاذ إجراءات في حق البيطار في الإطار القضائي. ويدور الحديث عن وضع الملابسات التي تحيط بعمل المحقق العدلي على طاولة مجلس القضاء الأعلى الذي اتّخذ الحكومة تعييناته أخيراً. وينطلق البحث من تعامل البيطار مع القضية مروراً بمعالجة الثغرات في الجسم القضائي كله، وضرورة العودة إلى ما ينص عليه الدستور في ما يتعلق بالجهات التي لها صلاحية المحاكمة.

وبحسب المعلومات، فإن ميقاتي يحاول رمي الملف في ملعب رئيس الجمهورية لمعالجته أولاً، وهو ما يرفضه الثنائي الشيعي باعتبار أنه هو رئيس الحكومة. علماً أن ميقاتي سمع تحذيراً أميركياً مباشراً من أن التعرض للبيطار سينعكس موقفاً حاسماً من الإدارة الأميركية برفض أي تعاون مع لبنان في مجال المساعدات الاقتصادية، وسيحرك ملف العقوبات ضد الشخصيات اللبنانية التي «تعرقل العدالة». وقد تركت مساعدة وزير الخارجية الأميركي فيكتوريا نولاند أحد تعييناته أخيراً. وينطلق البحث من تعامل البيطار مع القضية مروراً بمعالجة الثغرات في الجسم القضائي كله، وضرورة العودة إلى ما ينص عليه الدستور في ما يتعلق بالجهات التي لها صلاحية المحاكمة.

وبحسب المعلومات، فإن ميقاتي يحاول رمي الملف في ملعب رئيس الجمهورية لمعالجته أولاً، وهو ما يرفضه الثنائي الشيعي باعتبار أنه هو رئيس الحكومة. علماً أن ميقاتي سمع تحذيراً أميركياً مباشراً من أن التعرض للبيطار سينعكس موقفاً حاسماً من الإدارة الأميركية برفض أي تعاون مع لبنان في مجال المساعدات الاقتصادية، وسيحرك ملف العقوبات ضد الشخصيات اللبنانية التي «تعرقل العدالة». وقد تركت مساعدة وزير الخارجية الأميركي فيكتوريا نولاند أحد تعييناته أخيراً. وينطلق البحث من تعامل البيطار مع القضية مروراً بمعالجة الثغرات في الجسم القضائي كله، وضرورة العودة إلى ما ينص عليه الدستور في ما يتعلق بالجهات التي لها صلاحية المحاكمة.

وبحسب المعلومات، فإن ميقاتي يحاول رمي الملف في ملعب رئيس الجمهورية لمعالجته أولاً، وهو ما يرفضه الثنائي الشيعي باعتبار أنه هو رئيس الحكومة. علماً أن ميقاتي سمع تحذيراً أميركياً مباشراً من أن التعرض للبيطار سينعكس موقفاً حاسماً من الإدارة الأميركية برفض أي تعاون مع لبنان في مجال المساعدات الاقتصادية، وسيحرك ملف العقوبات ضد الشخصيات

- رفض ميقاتي القاطع أي مخرج يأخذ طابعاً سياسياً، استناداً إلى التنبيهات الأميركية، وإلى تعهده السابق للفرنسيين بعدم القيام بأي خطوة ضد البيطار ولو تطلب الأمر الاستقالة من الحكومة.

- رفض خوري أي خطوة من طرف واحد تجعله يبدو متدخّلاً في عمل السلطة القضائية، وسعيه إلى الربط بين إعادة تشكيل مجلس القضاء الأعلى والبحث مع البيطار في الأمر، مقترحاً دعوة الأخير إلى اجتماع الثلاثاء، وأن يُعرض عليه القبول بعملية الفصل بين الملفات، على قاعدة أنه كما أحال القضاة على المحكمة الخاصة بهم، يفعل الأمر نفسه مع العسكريين بإحالتهم على المحكمة العسكرية والرؤساء والوزراء والنواب إلى المحكمة العليا لمحاكمة الرؤساء والوزراء والنواب ويتولى هو المدنيين، وهو أمر يرفضه البيطار، كما قد يرفض فكرة الاجتماع من أصله.

- رفض عبود القيام بأي خطوة ورفعه السقف بالحديث عن الترهيب السياسي، فيما لم يجب عن سبب تصرف محكمة التمييز باختصاص عندما تمت تنحية القاضي فادي صوان، ورفضها النظر في الدعوى الجديدة بحجة عدم الاختصاص. علماً أن عبود يزعم بأن صوان زاره وأبلغه برغبته بالتنحي لأنه لا يريد تحمل مسؤولية ملف بهذا الحجم.

- اعتقاد عويدات بأن الأمر ممكن حله من خلال محكمة التمييز، واستبعاده إمكان تغطية الشوائب في عمل البيطار.

إلى ذلك، أشارت مصادر قضائية إلى وجود دعويين لدى محكمة التمييز. واحدة ارتياب مشروع وأخرى تمييز في الدفوع الشكلية، مستغربة كيف لم يبت بها بعد، ولماذا تتأخر القاضية رندى كفوري في اتخاذ القرار بشأنها، بينما زملاؤها اتخذوا قرارات سريعة، علماً أنهم خالفوا القانون وردوها من دون تبليغات، لا لصقاً ولا عبر أي جهة أخرى.

(الأخبار)

(مروان بوحيدر)

ابراهيم الأمين

«القوات» تستعجل حصاد المجزرة: ترهيب الخصوم المسيحيين!

في كل مرة، يُعاب على الضحية أنها لم تكن على القدر نفسه من الإجرام أو الوقاحة في ردها على القاتل. يُعاب على من قُتلوا غيلةً وغدراً في الطيونة أول من أمس، أنهم فشلوا في الدفاع عن أنفسهم. لكن، هل سبق أن تحدّث أي من المقتولين في صبرا وشاتيلا، في النبعة وضبية، في زغرتا والصفرا، في بعبدا والحازمية وثكنة سعيد في عين الرمانة، في كرم الزيتون وكورنيش النهر، في شكا والبترون والكورة، في وادي شحرور والكحالة وجرد المتن الشمالي...؟ هل سمع أحد رواية هؤلاء؟ ما سمعناه، طوال الوقت، أنهم لم يكونوا على قدر «المسؤولية». أي أنهم لم يكونوا مجرمين بقدر القاتل الآتي إليهم جاهزاً ومصمماً ومخططاً، ومعه صك غفران أعطاه إياه كاهن حاقد تربّى على زرع الخوف في قلوب رعيته، وأقنعهم بأن مفاتيح الجنة في جيبه، ينالها من يرضيه بالقرابين من دماء الآقربين قبل الأبعدين.

قرّر قائد الجيش اللبناني، خلافاً لتقدير مديرية الاستخبارات لديه، ولقادة العمليات على الأرض، أن ما حصل في الطيونة كان اشتباكاً مسلحاً بين مجموعات مختلفة. قال بيان الجيش (الثاني في اليوم نفسه مخالفاً البيان الأول) إن ما حصل لا يعدو كونه مشكلة بين زعران كما يحصل في كثير من المناطق. لكنهم ليسوا من النوع الذي يتطلب عملية دهم واعتقال أو قتل إذا لزم الأمر. وهو تدرب على فعل هذا في أمكنة أخرى، حيث لا صور للضحايا ولا من يحزنون.

أما ديكة مزابل المجتمع الدنيء وصيصانهم، اليمينية منها واليسارية المقيتة أيضاً، فقد انتظروا بضع ساعات، قبل أن تأتي التعليمة بأن

> **كيف قرر قائد الجيش ان ما حصل تبادل لإطلاق النار، وكيف قتل «الزعران» اهلهم ولم يصيبوا خصماً بخدش، وكيف تحوّل محترفون إلى هواة في لحظة؟**

ما جرى في الطيونة لم يكن سوى عملية انتحار تسبّب بها من قرّر التعبير عن رأيه. وأكّد لنا هؤلاء أن الاحتجاج على تحقيقات طارق البيطار جريمة وليس مجرّد رأي يخالف صاحب السلطان، وأن هؤلاء المحتجين لا يشبهون أولئك الذين قرروا التظاهر لـ«قبع» السلطة والدولة والنظام، لأن الصنف الثاني من شعب الله المختار، ولديهم حق الحصول على مبتغاهم وليس التعبير عن مطلبهم فقط. أما من يرشقهم بحجر، أو يضربهم بعصا، فمجرم يُفترض أن يدفع الثمن مع كل أهله حتى لا يعيد الكرّة.

صيصان السفارات، كما إعلام طحنون بن زايد وتركي آل الشيخ ودوروثي شيا، قرروا أن التظاهر أمام العدلية مخالف لقواعد العمل السياسي. فبحسب دساتيرهم، لـ«الصفوة»، فقط، حق الدعوة إلى نسف النظام، أما «الرعاع» فلا حق لهم حتى بالاحتجاج على سلوك قاض يقود البلاد نحو الفتنة الكبرى. وجد هؤلاء أن ما حصل في الطيونة لا يعدو كونه إشكالاً تسبب به من دعا إلى التظاهرة، ولا حاجة إلى السؤال عن القاتل. وعند الحَشْرة. تبدأ لعبة السرديات:

أين هم مسلحو القوات اللبنانية حتى تتهموا هذا الحزب الأخضر وملاكه القائد بسفك الدماء؟ أين صورهم وأسلحتهم وصراخهم وصوتهم المرتفع؟ فيما يُبرزون صور مسلحين من حركة أمل انتشروا في المنطقة بعد تعرّض تظاهرتهم لإطلاق النار. ورغم أن عراضات أمل لم تكن يوماً موفقة وفعّالة، لا في الشكل ولا في المضمون، إلا أن القاتل وحمايته وإعلامه قرّروا أن هؤلاء هم من ارتكب المجزرة، ويُسلّطون الكاميرات على زجاج واجهة محطة لتُثبتوا لنا أن ما حصل لم يكن سوى رد فعل على غزوة قام بها زعران ضد منطقة آمنة!

مع ذلك، فإن أياً من هؤلاء لا يشرح لنا ما الذي حدث. من سفارات القتل والقهر والسرقة التي تمثل أميركا وبريطانيا وفرنسا وألمانيا والسعودية والإمارات، إلى الجيش والقوى العسكرية والأجهزة الأمنية على اختلافها، إلى الأحزاب والقوى الثورية التي تريد استعادة رونق الزمن الجميل في بلاد الأرز، إلى الصيصان الذين يقترحون أنفسهم بدلاء لإدارة ما تبقى من دولة، إلى قضاة اختارهم النظام الفاسد ويريدون إقناعنا بأنهم ينتفضون للكرامة الوطنية حتى ولو شاركوا في التحريض على ما يقود إلى جريمة بحجم حرب أهلية، وبعضهم الآخر تجمّع في ناد لا يميّز بين القاتل والضحية، ولا يرى في كل ما يحصل سوى حصانة مطلقة لقاض لا يُرد حكمه ولو كان على شكل فتنة... مروراً بجمعيات الصيصان وأحزابها بكل تلاوينها وأشكالها، وصولاً إلى البيان - المأساة، الذي أصدره الحزب الشيوعي السابق محملاً المتظاهرين مسؤولية مقتلهم...

حسناً، قرر زعران من الشياح غزو عين الرمانة لا التوجه إلى قصر العدل. لكنهم، بدل التوجه مباشرة إلى الأحياء المقابلة لزواريبهم كما يُتهمون دائماً، سلكوا طريقاً بعيداً يتطلب منهم جهداً كبيراً للوصول إلى قلب «قلعة» فأر معراب. لكن تبيّن أن هؤلاء الزعران، الذين يقول «الحكيم» إنهم من مقاتلي حزب الله، لا يعرفون عن القتال شيئاً. فلا هم قاتلوا إسرائيل وهزموها ولا قاتلوا الأميركيين والبريطانيين والفرنسيين وهزموهم في لبنان وسوريا والعراق وفلسطين، ولا هم الذين تقول السعودية إنهم يقودون الحرب ضدها في اليمن، بل تبيّن، بحسب خبرات الفوج المجوقل في القوات اللبنانية، أنهم ليسوا سوى هواة متى ظهر أمامهم المحترف الذي يتقدم حيث لا يجرؤ الآخرون. هكذا، في لحظة واحدة، تحوّل حزب الله الذي يقول هؤلاء إنه متخصص في القتل والتفجير والاغتيال والحروب المعقّدة، إلى هاو سقط أمام جبروت وحدة الحماية في معراب...

هذا ما يردّده القواتيون في معرض زهوهم، ومفاخرتهم أمام مشغليهم العرب والغربيين، حتى يقول حاقد تافه مثل بيار أبي عاصي إنه لن يوجه تحية للضحايا، ويلوّح مجانين «القوات» بأنهم مستعدون لـ«تربية» من تسوّل له نفسه «رفع راسه» في زعيترية المتن والنبعة وبرج حمود وبلاد جبيل، ويُسمع بعضهم مسلمين يقطنون في أحياء بيروت والمتن وكسروان بأن يختاروا الصمت أو الرحيل... فيما يصرّ الفريق الذي يحمي القتلة على أن إطلاق النار لم يصدر سوى من جانب «زعران الشياح» الذين قتل وجرح نحو مئة منهم، فيما لم يصب أي من خصومهم!

لكن، لنراقب من أين تريد القوات أن تبدأ حصاد الجريمة. بدأ موفدون يؤكدون أنهم لا يريدون حرباً مع الشيعة، وفي بال بعضهم أن «زعران الشياح» أنفسهم هم من أنقذوهم من ميشال عون نهاية الثمانينيات وأن التواصل يومي مع أبناء الشياح للتنسيق في محاصصة زبائن مولدات الكهرباء وكابلات التلفزيون والسوق السوداء في المازوت والبنزين والغاز. تريد القوات أن تجني «الثمار» في المكان الصحيح حيث يمكن إفهام سامي الجميل وابن عمه نديم بأنهما لا يساويان شيئاً، وإبلاغ من يهمهم الأمر من جماعات المجتمع المدني، من ميشال معوض وبيار عيسى إلى مجموعة «نحو الوطن»، بأن كل هؤلاء مجرد واجهات انتهى دورها، ولا مكان لها خارج عباءة القوات، بالتالي إفهام الأميركيين والسعوديين، ومعهم بقية الغربيين، بأنهم الجهة الوحيدة القادرة على مواجهة المقاومة في لبنان. وعلى «البيعة»، لا ضير بأن يحفظ وليد جنبلاط وسعد الحريري صورة الطيونة جيداً حتى لا يحاولان تجاهل جحيم في أي استحقاق مقبل.

هكذا يبدأ الجنون، وهذا ديدن القوات اللبنانية بفكرها الطائفي المقيت، وعقلها السياسي المنغلق، وعقد قائدها النفسية. وهذا ما يجب على التيار الوطني الحر أن يفهمه جيداً قبل أي أحد آخر، لأن قاموس القوات لا يتيح للتيار مكاناً لا تحت عباءتها ولا حتى في ظل شرفة بعيدة، بل وعيد بالسحل والإبادة انتقاماً لثلاثة عقود...

مع ذلك، ينبغي تكرار لفت انتباه من يهمهم الأمر، ولإشعار من يجب أن يتحمل المسؤولية، أن الدماء التي سفكت ليست من دون أولياء، وأن أمام الناس الغيورين على هذه البلاد مسؤولية على شكل فرصة لمحاسبة القتلة الحقيقيين. ومن يتهرب من المسؤولية ليس سوى شريك كامل الأوصاف في جريمة سيُحاسَب المسؤول عنها... حتماً!

كثير كل هذا الحزن امس. 7 شهداء شُيّعوا الى مثواهم الاخير ومعهم مئات القصص عن الحياة التي تركوها خلفهم. مابقي منهم «شويّة صور» عمّن قتلوابرصاص قناصين في معركة خسرت فيها عائلاتهم. 7 صور تخبر الكثير: عن دمٍ سابحٍ عند نافذة لبيتٍ كان آمناً. عن بائعِ عصيرٍ خسر ولده عند الدوار نفسه. عن امٍ تحتسب ابنها شهيداً ولكن قلبها يتألّم... اليوم. على كل واحدٍ منّا أن يحفظ وجوه هؤلاء الذين سقطوا برصاص متعمّد. كي لا يسقط حقهم بالمجان. هؤلاء السبعة قتلوا عن سابق تصميم وترصد. واي شيء اخر لا معنى له

«شويّة» صور بقيت لمن قتلهم القنّاصون

(هيثم الموسوي)

الشهيدة
مريم فرحات (40 عاماً)

أطلّت من نافذة بيتها لترى ما إذا كان أولادها قد عادوا من مدارسهم... ثم قتلت. كان هذا المشهد الأخير في حياة مريم فرحات التي استشهدت برصاصة في الرأس. قبلها، كانت مريم أماً لخمسة أطفال، أصغرهم وآخر عنقود البيت هاجر، ابنة السنوات الخمس التي عادت أول من أمس على غير عادتها إلى منزل خالتها. هذا ما قررته العائلة، كي لا يعلق في رأس الصغيرة من أمّها الدم الذي كان يُغرق الممرّ في البيت الكائن في منطقة الطيونة. عندما وصلت هاجر إلى منزل خالتها، سألت عن مريم، فكانت الإجابة «إمك مسافرة»، ولا تزال حتى اللحظة تظّن أن سفر أمها لن يطول كثيراً. أمس، في وقت دفن مريم، كانت هاجر تلعب مع بنات خالاتها. أما البقية، ومنهم زينب كبيرة العائلة والعروس منذ أربعة أيام، فكانوا يودعون والدتهم لمرة أخيرة. وحدها، أم الشهيدة كانت الأشد صلابة. كانت مسنّودة إلى الصبر، عندما اتكأت على ابنها وهي تقول له «كلنا راح يجي ع الآخرة (...) الله يرزقنا حسن خاتمتها يا ابني (...) بدّك تتصبّر». كيف لأم تفقد ابنتها قتلاً أن تكون بكل تلك الجَسارة؟

قبل أن تستشهد بخمسة أيام، كانت مريم تزف ابنتها عروساً، وكانت تلك المرة الأولى التي ترقص فيها فرحاً لابنتها. لكن، تتذكر شقيقة زوج ابنة الشهيدة، نور جابر، أن «مريم تلك الليلة راقصت أمها كثيراً وحضنتها بعمق، وهو ما دفع الأم للقول: شو بها هيدي». هل كان الفرح هو ما دفعها لذلك؟ اليوم، بعد موتها، يوقن المقربون منها أنه لم يكن كذلك.

بعد زواج ابنتها، كان خوف مريم من النوم من دون زينب. كانت قلقة من الأيام الأولى لما بعد فراق ابنتها، إلا أنه لم يطل القلق كثيراً، فقد اتت رصاصة وأنهته.

الشهيد
مصطفى زيب (26 عاماً)

«يا عبد الله قلو لمصطفى احترق قلبي». هذا آخر ما بقي لأم مصطفى زيب من وحيدها: حرقة القلب. لم يكن يخطر في البال أبداً أن تقف يوماً وتحمل صورة مصطفى وتنتظر عودته الأخيرة إلى بلدته كي تشيّعه، لكنها فعلت ذلك أمس. دفنته وعادت بقلب خاوٍ... وصورته الأخيرة بلباسه العسكري والتي على الأرجح هي نفسها التي ستعلّقها في دارها.

قبل تلك الصورة، كان مصطفى، ابن السادسة والعشرين، شاباً كغيره من أبناء جيله مكافحاً في هذه البلاد. حمل في عمر مبكرة مسؤوليات كبيرة: مسؤولية العيش وحيداً، حيث ترعرع في منزل جدبه لأبيه بعد انفصال والديه، ووحيداً بعدما تزوجت شقيقته في عمر صغير. عاش مصطفى في منزل جدّيه... وفي المعسكر، حيث قضى الجزء الأيسر من عمره هناك، كان خالاها متفرغاً بكليّته لـ«التنظيم»، على ما يقول أقاربه. كما تفرّغ أخيراً للعمل في منصب نائب المسؤول التنظيمي في حركة أمل في بلدته النميرية.

كان من المفترض أن يحتفل مصطفى غداً بمرور عام على خطوبته، إلا أنه سقط برصاصة مزّقت قلبه قبل يومٍ واحدٍ عند دوّار الطيونة.

الشهيد
علي إبراهيم (32 عاماً)

علي البوب. لا يعرف الشهيد علي إبراهيم في «أماكنه»، ما بين النويري وبربور، بغير هذا اللقب. كسبه منذ الصغر، كما كسب ودّ كل من يعرفه. كانت ابتسامته الواسعة بطاقة عبوره إلى قلوب هؤلاء. «عطول ضحكان»، يقول صديقه علي مرعي، وكانت صورة أمس الوحيدة التي راه فيها بلا تعابير.

لم تكن حياة علي تشبه ضحكته القوية. عاش وشقيقة اليتم مبكراً، إذ توفيت والدتهما وهما في عمر صغير، وبقيا وحيدين إلى أن تزوّج والدهما وبات لهما كثير من الإخوة والأخوات. مع ذلك، لم يعش علي «حياة البيت». بدأ العمل مبكراً وعاش «بالمحلّات»، يقول صديقه، إذ كان ينام في المحال التي كان يستأجرها للعمل. تنقّل بين أعمال كثيرة، إلى أن استقر في الفترة الأخيرة في عمله في أحد المطاعم كعامل توصيلات. في اليوم المشؤوم، كان يوصل طلباً إلى منطقة الطيونة، ولم يكد يصل إلى هناك حتى بدأ الرصاص ينهمر. في تلك اللحظة، لم يكن يهم علي سوى التواصل مع رفاقه لإخبارهم بما يجري لتجنب الدخول إلى المنطقة. أرسل رسالة صوتية عبر تطبيق الواتس آب ثم اختفى. مات علي بعد دقائق من رسالته الأخيرة. قتله رصاص القنص.

الشهيد
حسن مشيك (29 عاماً)

يقال إن حسن مشيك كان أول من تلقى رصاص القناصين. لفظ أنفاسه الأخيرة سريعاً، بعدما خرقت رصاصة رأسه. يصدّق حسين، شقيق الشهيد ذلك، لأنه يعرف جيداً أن حسن «كان قدّ عشر رجال وصاحب نخوة». هذه الصفات تفترض، بحسب حسين، أن يكون حسن أول المبادرين. كان يفترض بحسين أن يكون مع شقيقه في التظاهرة، إلا أن عملاً طرأ عليه في بلدته كفردان في البقاع. لا يشعر الشقيق بالحزن، بقدر ما هو الذنب لترك شقيقه وحيداً.

في اليوم المشؤوم، تلقى حسين اتصالاً من أحد أقاربه يقول له بأن حسن استشهد. لم يستوعب الخبر، إلى أن تأكد من ذلك عبر الأخبار الواصلة، عندما أعدّ العدّة للذهاب إلى بيروت، وكانت وجهته الأولى مستشفى الساحل «أخذت أخي وغسلته وكفنته ومررت به إلى بيته في منطقة صحراء الشويفات ثم إلى الضيعة».

كان حسن صغير العائلة، ولكنه «كل شيء في البيت». عاش منذ صغره متنقلاً بين المعسكرات ومقاتلاً حتى استشهد «وصار شهيد حركة أمل الثالث بعد شهيدين في العائلة». قبل كل ذلك، كان حسن أباً وشديد التعلق بطفليه، وكان «شغّيل» يخرج منذ الصباح الباكر إلى عمله ولا يعود قبل المساء. أمس، غادر حسن بيته إلى غير رجعة، وترك خلفه أماً مفجوعة بصغير العائلة.

الشهيد
حسن نعمه (57 عاماً)

في الطائرة، عرفت ابنة الشهيد حسن نعمه أن أباها قتل عند دوار الطيونة. قرأت الخبر على مواقع التواصل الاجتماعي ولم تصدّق أن دعوة عائلتها لها كانت لتشارك في دفن والدها. أمس، كانت وحيدة حسن ممزقة القلب، وشقيقاها أيضاً.

صباح يوم الكمين، كان حسن يتجهّز للمشاركة في التظاهرة. قبل أن يخرج من المنزل، أوصى زوجته بابنه صغير العائلة، حسين، الذي يعيش وزوجته وابنتهما في منزل ذويه. كان «كثير التعلق بحسين، لأنه الوحيد الذي كان يعيش في لبنان، فيما شقيقه وشقيقته كانا مسافرين»، تقول زوجة ابنه. عندما جاء خبر حسن، امتلأ البيت «بالمحبين لأنه كان شخصاً استثنائياً ليس فقط في عائلته، وإنما في الحي حيث كان يقيم».

عاش حسن جلّ سنواته الـ57 في خدمة «التنظيم». هذا ما يقولونه للمنتسبين إلى حركة أمل، وكان «من الطبيعي» أن ينهي تلك الخدمة «شهيداً». تؤكد زوجة ابنه أن «عمّي» قضى في الطيونة فيما كان «عم يبعّد الشباب عن مكان الاشتباكات».

الشهيد
محمد تامر (24 عاماً)

قبل أن يسقط شهيداً، كان محمد كبير العائلة المكونة من 3 أولاد. هم بالترتيب: محمد وفاطمة وخليل. كان أكثرهم هدوءاً وحباً للحياة. على عكس عمله السرّي في «المقاومة»، كان محمد يجاهر بحبّه للحياة «وين كان فيه فرحة كان محمد موجود»، تقول والدته عبير. من دون أن يسأل سائل، لا تبخل أم محمد في سرد مواصفات بكرها، ولا تعرف في الأصل «من أين سأبدأ بالحديث عن محمد. عن الشاب المطيع الخدوم والمحبوب ويللي كل الناس بتحلف فيه؟». ربما، لكل تلك الصفات «أختاره الله شهيداً، لأن هني هول الطاهرين يللي بيختارهم الله شهداء».

على عكس هدوئه، كان محمد يملك الكثير من الأصدقاء، وكان له مكان محبّب للسهر «الغرفة يللي مدفون فيها ابن عمو محمد طلال تامر»، يقول أمير، صديقه في العمل. غالباً، ما كان أمير يتردد إلى تلك الغرفة في بلدته بنهران في الكورة. جهزّها محمد بـ«قعدة وتلفزيون»، وعندما كان ياوي إلى الغرفة أصدقاء جدد كان الشهيد يحرص على تعريفهم بـ«محتوياتها»، فيقول «هون قبر ابن عمي وهون التلفزيون وهون الكنبايّة وهون مطرح الكراسي قبري». كان قد هيأ لموته مسبقاً «إلى جانب ابن عمه»، يقول أمير. أمس، عندما شيّع محمد دفن «محلّ الكراسي».

الشهيد
محمد السيد (36 عاماً)

آخر الصور التي علقت في الأذهان عن الشهيد محمد السيّد خروجه حاملاً سلاحه الثقيل على كتفه قبل أن يهوي صريعاً. قبل الكثير عن تلك الصورة التي استغلّت لتبرير قتله بتلك الطريقة. لكن، ما قبل تلك الصورة، كان يمكن الحديث مطوّلاً عن الشاب الذي أجبرته مشاهد القتل المجاني على دوار الطيونة على الخروج بتلك الهيئة.

لم يكن محمد شاباً مقتدراً. كان «شغّيلاً»، كما معظم الذين سقطوا عند الدوار. فقراء الأحياء المهمّشة. يكدّ ليعيش. وكان أباً لـ«طفلين جميلين»، كما يقول شقيقه عباس. مات محمد أو، كما يقول عباس، «ربّ البيت» وانتهى كل شيء. كان محمد بالنسبة إلى أشقائه «البيت كلّو»، يقول الشقيق الذي دفن «هذا البيت» للتوّ. حتى «أبو محمد»، بائع العصير في شارع أسعد الأسعد في الشياح، يوقن أن محمد كذلك. لا يشعر بوجوده عندما يكون محمد، واليوم بات «بتيما». وقد بدا يتمه أمس طاغياً وهو «يشوّح» بصورة ابنه بين المشيّعين. لم يترك محمد إرثاً كبيراً. فقط صورة وبائع عصيرٍ وطفلين جميلين.

المردة: وحدها العقلانيّة «تحمي الشرقيّة»

أعادت أحداث الطيونة الدموية الحياة للكثير من العصبيّات الكامنة في النفوس والشعارات التي لم تقو عقود بعد الحرب الأهليّة على محوها. الخوف من الآخر حاضر دائماً، والمتاريس النفسية قائمة وتنتظر اللحظة المناسبة لنقلها إلى الميدان. الجميع يتكل على من يحميه. ومؤمن أن الدولة هي الحلقة الأضعف التي تحتاج إلى من يحميها اساساً من الانهيار الكامل

رضا صوايا

«قطعت» القوات اللبنانية المشهد على سوداويته، ولو أنها لم تتبنّ رسمياً ما حصل. في وجدان الكثير من المسيحيين، من مؤيديها وخصومها، أنها «الأقدر على الدفاع عن الشرقية حين تحز المحزوزية»، و«البدلة الزيتيّة جاهزة ولا ينقصها إلا الكوي إذا دعت الحاجة». لذلك، أثارت تغريدة رئيس تيار المردة سليمان فرنجيّة، عبر «تويتر»، عن تقديره «للوعي وحس المسؤولية لدى حزب الله وحركة أمل» حفيظة كثيرين، وتفتح جدلاً بيزنطياً لطالما كان حاضراً حول «من هو المسيحي أكثر من غيره».

يؤكد النائب طوني فرنجيّة لـ«الأخبار» أن «مواقفنا تنبع من قناعاتنا والمدرسة التي نشأنا على تعاليمها، ولا ننجرّ لردود الفعل والعصبيات. وتعوّدنا كلما اقترب موعد الانتخابات، أن يبدأ العمل على شد العصب والنعرات، وهذه تجارة مربحة. صحيح أن القوات لم تتبنّ ما حصل، لكنهم مسرورون بالدعاية التي حصلوا عليها كحماة للمنطقة الشرقية».

يدرك فرنجيّة الجو العام الطاغي «بتمجيد ما حصل كما ولو أنه انتصار عسكري». لكن «الحقيقة خلاف ذلك. فسواء كانت التظاهرة سلميّة أم في المئة أو شابتها بعض أخطاء وممارسات مرفوضة، إلا أن ما حصل كان عنيفاً جداً. لم يكن أحد في وارد اقتحام منطقة مسيحية، وما حصل كان عبارة عن كمين محكم، والقنص أتى غدراً وليس بهدف صد أي هجوم. فكيف يكون هناك هجوم والشهداء سقطوا من طرف واحد فقط؟».

«المردة أولاً وأخراً وطنيون»، يقول فرنجيّة، ولكن «لا أحد يخرج من ثيابه ونعرف موقعنا جيداً في ما لو دعت الضرورة. لكننا نرفض جرّ المسيحيين إلى عواقب لا تحمد عقباها سواء كان من يجرهم إليها مدركاً مخاطر رهاناته أم لا. فما هي مصلحتنا كمسيحيين من رفع الشعارات الكبيرة؟ هل نحن قادرون على تحقيق أي مكاسب في حال كان الهدف مما يجري الوصول إلى طاولة حوار والبحث في عناوين عريضة أم أن التفاهمات ستكون على حسابنا؟ قناعتنا أن الخواتيم لن تكون كما يتمنّاها البعض. والواقع أن الجميع يفكر بمصلحته الشخصية وكيفية تعزيز مواقعه وشعبيته ولا أحد همه لا البلد ولا المسيحيين ولا المسلمين».

> **طوني فرنجية: لم يكن احد في وارد اقتحام منطقة مسيحية وما حصل كان «كميناً محكماً»**

ونبّه فرنجيّة إلى أن ما حصل «لن يكون النهاية، وإذا لم نشهد أحداثاً مماثلة مستقبلاً فلا شك في أن الخطاب العالي السقف سينمو بهدف شد الجمهور واستقطاب أكبر عدد ممكن من الناخبين. المواقف البطوليّة ستزداد ولكن على حساب الوطن والمواطنين. نحن مع تغليب لغة العقل. والجسور التي قد تهدم سيكون من الصعب ترميمها مستقبلاً».

وعن التحقيق في ملف انفجار المرفأ، أكد أن «لنا ملاحظات عدة حول مسار التحقيق، لكننا نرفض نسفه وتطييره. نريد تصويب الأمور حرصاً على الشهداء والضحايا والحقيقة ومنعاً للتسييس. صحيح أنه يوجد إهمال إداري وهذه حقيقة لا يمكن لأحد الهروب منها، لكن لماذا التركيز فقط على من قصّروا من حيث الإهمال الإداري، وتناسي بقية المعنيين من أمنيين وقضاة ممن يحملون مسؤولية أكبر من المسؤولين الإداريين. نحن مع رفع الحصانات عن الجميع وليتوجهوا جميعاً بمساواة أمام القضاء».

«المجتمع المدني» في إمرة جعجع

رلى إبراهيم

اختارت المجموعات المنضوية تحت ما يسمى «قوى نداء 13 نيسان» (تحالف «وطني») الذي يضم النائبة السابقة بولا يعقوبيان ومجموعات مناطقية) أن ترى أحداث الطيونة - عين الرمانة بعين واحدة.

فضح كمين الطيونة «المجتمع المدني والحقوقي» والقوى «التغييرية» التي لم تر في أحداث أول من أمس سوى «مئات من المتظاهرين المسلحين يتوجّهون الى قصر العدل لتهديد القضاة»، المجموعات التي جعلت من ضرب المتظاهرين على الرينغ «أيقونة للثورة»، غضّت النظر عن قنص المتظاهرين فقط لأن هؤلاء مخالفون لمشروع الرعاة الخارجيين لقوى «التغيير». «المعارضون» لسلطة القمع والتخويف من سلاح المقاومة، استخدموا الأدوات نفسها في إيجاد أعذار لعدم إدانة التعدي بالسلاح الميليشيوي على متظاهرين يعبّرون عن رأي مخالف لرأيهم، وتجاهل قتل إمّ تنتظر عودة ابنتها من المدرسة لرصاص القنص... لأنها ببساطة تنتمي الى بيئة «لا تحب الحياة». فيما غاب نقيب المحامين «الثوري» ونقابته «المنتفضة» والمحامون «الثوريون»، باستثناء قلة، عن إدانة التعرّض لمحامين بالقنص لأنهم خرجوا في تظاهرة.

كان يمكن لهذه القوى أن تجد لغة معتدلة لكنها عجزت عن دفن نفاقها، فأخرجت كل أحقادها لا لتساوي الجلاد بالضحية، إنما لتبرّر قتل الجلاد لضحيته ولتجد أعذاراً واهية لا تساهم سوى في فضح زيف ادعاءاتها حول حقوق الإنسان. كل ذلك لاستلحاق ما يمكن استلحاقه بعد الخسارة التي أنزلتها القوات بهم بفعلتها في كمين الطيونة، وكسبها الجولة من تجييش المسيحيين. ويقول أحد قادة المجموعات إن هؤلاء يعتبرون أن «الخسارة الرئيسية لحقت بهم لأن جمهورهم من المحايدين أو من المناصرين لخطّ 14 آذار، عاد الى الصحن القواتي بعدما نفّذت معراب بالفعل لا بالقول ما يسمّون هم منذ صباح 17 تشرين الى فعله، أي كسر هالة حزب الله في الشارع».

وعلى المنوال الأعمى نفسه، سارت «المعارضة الوطنية» التي تضم حزب الكتائب والنائب السابق ميشال معوّض ومجموعات أخرى. لم يجرؤ هؤلاء على إدانة أفعال القوات اللبنانية في بيانهم بالتوازي مع إدانة رد فعل أنصار حركة أمل وحزب الله، لعلمهم المسبق أن ذلك سيخسرهم في المناطق التي يتنافسون عليها مع جعجع. لا بل اختاروا حذف حركة أمل من المشهد والتركيز على حزب الله، وأمنوا لأنفسهم إطلالات إعلامية. هنا أيضاً، فاق طبع النفاق التطبع، فمعوّض والجميّل اللذان لا يفوّتان مناسبة لحصر السلاح بالجيش اللبناني، أثرا عدم رؤية السلاح القواتي والحرب الأهلية التي كادت تشتعل جراءه.

في المحصلة، دخل المجتمع المدني كما الأحزاب السياسية المعارضة موسم النفاق الانتخابي عبر تغذية صناديقهما من استثارة النعرات الطائفية والتجييش المذهبي، سعياً وراء دعم مالي من السفارات والجهات الخارجية على طريقة أحزاب السلطة. ويبدو أن هؤلاء الذين جهدوا في الأشهر الأخيرة لتمييز أنفسهم عن القوات وتقديمها على أنها جزء من المنظومة الحاكمة، عادوا أول من أمس ليكونوا خرطوشاً في جعبة قائد معراب. سبق لجعجع أن كرّس نفسه بنفسه، في 16 تشرين الأول 2019، قائداً لـ«الثورة المقبلة». وها هو اليوم يتفرغ لترويض المجموعات والأحزاب المعارضة من جهة، ولسحقها من جهة أخرى عبر تقديم نفسه كالضامن لأمن المجتمع المسيحي والقابض على ميزان القوة في وجه حزب الله.

كومبرسورات هواء عدد 2
ماركة : Boge
الطراز: SLF61 TYPE
Rotary System
ساعات الخدمة: 3300 Hrs
الثاني: 19100 Hrs
القدرة: 125 AmP/45 KW
ميزّات هواء
380V/3PH/50HZ
القدرة: 1.5HP
71.7HP
95.6HP
143.4HP
للتواصل: 03/651505

سُكّان «خطوط التماس»: «مَهمّة» التعايش لم تكن يوماً سهلة!

هديل فرفور

يعرف معظم قاطني محيط عين الرمانة والشياح عموماً، أن التوصيف «الأسهل» لإرشاد قاصديهم إلى عناوينهم يكون عادةً عبر تحديد «موقعهم» من «خطوط تماس» الحرب الأهلية، لإدراكهم قوة تأثير تاريخ المتاريس على الذاكرة الجماعية، ومن ضمنها ذاكرة أولئك الذين لم يعايشوا الحرب. هؤلاء الأخيرون، الذين لم يعايشوا الحرب، بقوا بدورهم أسرى ذكريات المكان الملوّنة بالدم، والتي تعكسها «ملامح» المنطقة؛ من الرصاصات التي استحالت ندوباً في وجوه مبانٍ قديمة، مروراً بصور «قادة» الحرب المعلّقة في الأزقّة الداخلية، إلى حواجز الجيش التي نُصبت عند «المحاور». والحرص على بقاء الحواجز، رغم سنوات طويلة من «السلم»، هو بالنسبة إلى كثيرين اعترافٌ من «الدولة» باستحالة «الانصهار» بين سكان جانبَي الخط، وتذكيرٌ بضرورة الفصل بينهم لأنّ نية «الاستثمار» في الاشتباك «الدوري» بينهم ثابتة، تماماً كثبوت قادة المحاور.

يصعب على «أبو نزار»، الساكن على أطراف عين الرمانة مقابل مدخل شارع أسعد الأسعد، أن يُحصي عدد المرات التي اضطر فيها إلى مغادرة منزله بسبب الاضطرابات الأمنية التي شهدها الشارع في السنوات الأخيرة. آخر خساراته كان قبل نحو سنتين، في إحدى «جولات الانصهار» بين شبان المنطقتين، عندما خُطفت سيارة ابنته في الشارع من دون أن يعرف من قام بذلك. ففي حالة العالقين في «الوسط»، لا يعود التعرّف إلى المعتدي مهماً، ربما لأن القاطنين هناك، يعلمون «كلفة» أن تكون وسطياً في هذه البلاد.

«أبو نزار»، كغيره من الجيران، يدركون جيداً أن «مَهمة» التعايش المطلوبة منهم لم تكن يوماً سهلة. العيش ثقيل وسط مكان «سريع الاشتعال»، ويزداد ثقلاً في كل مرة يضطر فيها سكان مناطق التماس عموماً، والمناطق الداخلية «المختلطة» خصوصاً، إلى ترك منازلهم ومن ثم العودة إليها بعد هدوء الاضطرابات. جولات التوتر الكثيرة أوصلت سارة، الشيعية القاطنة في عين الرمانة، إلى «قناعة» بأن حجز «التأقلم» مع «الوحدة الوطنية» تزداد تصدّعاً «في كل مرة نغادر فيها بيوتنا خوفاً من المحيط، ونجد أنفسنا طامحين إلى البحث عن السكن في مناطقنا... كل بروفا حرب تقذفنا إلى أصلنا المذهبي أياً كانت قناعاتنا السياسية».

أول من أمس، قُتلت مريم فرحات

(مروان بوحيدر)

في منزلها في الشياح. دفعت ثمن سكنها على مقربة من «الآخرين»، في «منتصف» خط التماس. وكانَ «الدرس» المطلوب هو الاقتناع بأن التهجير قد يكون أكثر «أمناً» من «المرابطة» في البيوت التي سُكنت في زمن السلم. وهو اقتناع لا يحتاج إلى مزيد من الإقناع. ففي كل مرة يغادر السكان بيوتهم قبل اندلاع الاشتباكات بسبب قدرتهم المتنامية على قراءة التطورات ومآلاتها قبل حدوثها. وحدها العائلات المقيمة في منطقة الطيونة وبدارو «أكلتها» أول من أمس، ربما لاعتقادها بأن هاتين المنطقتين «بعيدتان جداً» عن «المحاور التقليدية».

صباح أمس، عشرات البيوت في الشياح كانت خالية من ساكنيها. شارعا عبد الكريم الخليل وأسعد الأسعد كانا «يتأهبان» لتشييع ضحايا كمين القتل المتعمّد. في «شارع عبد الكريم»، كما يُسمّى اختصاراً، البؤس يعلو الوجوه، ويمتزج الحزن والسخط في كلام كثيرين ممن علقوا في منازلهم وخسروا جيراناً. وفي «الأسعد»، الشارع الأشهر في الشياح، كان الكلّ مشغولاً بمواساة «أبو محمد»، بائع العصير الذي خسر ابنه محمد السيد.

تقول سامية التي تسكن الشارع منذ عشرين عاماً إن إقفال الجيش مداخل عين الرمانة عشية التظاهرة دفع كثيرين من جيرانها إلى إخلاء بيوتهم، «ومن لم يترك بقي عالقاً ساعات طويلة». وتُضيف: «هذا قدر القاطنين هنا، التهجير الدائم».

في 27 تشرين الثاني 2019، نظّمت عشرات الأمهات القاطنات في عين الرمانة والشياح مسيرة انطلقت من محمصة صنين المجاورة لمركز حزب القوات اللبنانية في اتجاه «الأسعد» الذي يُعد أحد «معاقل» حركة أمل، رفضاً لما سمّينه «إعادة لغة المحاور والحرب». يومها، رفعت النسوة شعارات من بينها «انتهت الحرب الأهلية، نريد وحدة وطنية». على مدى عامين، بعد تلك «المسيرة»، وقعت جولات كثيرة من التوتر كانت تُرافق دائماً بتطويق مناطق «التماس»، وبمغادرة العشرات منازلهم إلى حين عودة الهدوء.

> كلّ بروفا حرب تقذفنا إلى أصلنا المذهبي أياً كانت قناعاتنا السياسية

مسيرة الأمهات تلك، على نقاوتها، كانت محطّ سخرية كثيرين لـ«افلاطونيتها»، ولأنها كمن يرتق جرحاً مستعصياً بالورد. اليوم - إذا ما أريد تكرارها - ستكون موضع تنديد من اليائسين من أيّ تغيير في قواعد اللعبة القديمة في البلاد، وممن باتوا مقتنعين بأن استحضار «عين الرمانة» هو وسيلة حياة هذا النظام وعصبه.

أنصار القوات في عين الرمانة: الاتهام جاهز لـ«هنّي» و«طرف ثالث»

ليا القزي

«حرام نحنا. كرسحونا. حتّى ما بدّن يعطونا عكّيزات لنعكّز». يلفظ أبو حسن كلماته بحسرة، وهو يُركّز نظره على بناية «الموسوي» في منطقة الطيّونة والمبنى الملاصق لها، «المُخرَنق» بالكامل، جزّاء جريمة يوم الخميس. يسكن في أحد شوارع الطيّونة الداخلية، «كنّا عم نحضر أفلام متحركة وقت ولعت. جوّا ما صار شي»، إلا أنّ ذلك لم يُبرّد أعصاب الأب «حتّى اطمأنيت أنّ أولادي بخير. سنموت بذبحة قلبية». أبو حسن من المقاتلين القدامى في الحرب الأهلية، «لم نكن في حينه مُدركين ما نفعل، والآن يُعيدون تكرار السيناريو نفسه. الاستفزاز المُتبادل الذي حصل أمس ما الغاية منه؟ وشدّ العصب المسيحي - المسلم إلى ماذا يقود؟ لماذا يحرقون أعصابنا؟ حين يعود هذا الجيل إلى وعيه يكون البلد قد طار، ونكون أنت وأنا وهؤلاء المساكين الضحايا الفعليين، لا الموتى الذين ارتاحوا».

مدخل فرن الشبّاك من جهة تقاطع سامي الصلح، مروراً بدوّار الطيونة، وصولاً إلى بداية طريق صيدا القديمة حيث دارت المواجهات الأقسى أول من أمس، تحوّل ثكنة عسكرية. عناصر الجيش أقاموا حواجز على مدخل كلّ طريق، مع تفتيش دقيق للدرّاجات النارية. انتشر عناصر استخبارات الأجهزة الأمنية ومخابرات الجيش لمعاينة المباني المتضررة، «إجو كلّهم لهون، بدال ما نوزّع حالنا عا المناطق لنخلّص أسرع»، يقول عنصر لزميله متأففاً. جنودٌ من الجيش، يحمل أحدهم كاميرا ويصور واجهة متجر سويت بالأرض على طريق صيدا القديمة. هل يُريدون التعويض؟ «شو عم تقولي نكتة؟ مين بعوّض على مين بالبلد؟»، تُجيب صاحبة المتجر. تنظر حولها بعيون باردة وهي تجمع الزجاج في كراتين ورق، تعلّق ساخرةً: «لو كانوا الماسا مش أحسن؟». إلى جانبها، صاحب متجر لبيع الدخان يُكنّس الزجاج حامداً ربّه على تركيب بوابة حديد قبل أيام قليلة، «وإلا كانت ولعت البضاعة». تمنّ لم يتوافر لمالك معرض السيارات في الجهة المقابلة، بعد أن أُصيب عددٌ منها، ولا مقهى «رويال» أكثر المتضررين أول من أمس، لأن عناصر من الجيش - حسب روايات السكّان - أطلقوا النار منه صوب الجهة المقابلة، «فبدأ تبادل الرصاص، وبعد مغادرة الجيش تعرّض المقهى للسرقة ليلاً».

> حين يعود هذا الجيل إلى وعيه يكون البلد قد طار

لم تكن تلك الشوارع تمسح عنها آثار معركة امتدت قرابة خمس ساعات، بل كانت أشبه بمن خاض حرباً طويلة تمكّنت منه. «نحنا ممنوع نعيش بأمان»، يُعلّق أحدهم مُشيراً إلى شخص يعمل بأطراف بناية «لم يكفه الهلع والخوف اللذين عاشهما، وفوق ذلك دفع 600 ألف ليرة ليُنقل أطفاله من بيروت إلى بيصور. أي خسر معاشه أيضاً». كثيرون من سكّان المنطقة، الطيونة وعين الرمانة وبدارو، نزحوا من منازلهم إلى مناطق أخرى، لا سيّما من يملك منهم خيارات سكنية بديلة. لم يعد أغلبهم أمس، «بانتظار أن يخفّ الغليان». أمام كلّ عربة قهوة أو «كافيتيريا» صغيرة، تجمّع أفرادٌ لـ«تقييم» أحداث الخميس. تتنوّع الآراء بين من هو غير مُقتنع بمسؤولية حزب القوات «نتيجة التنسيق الدائم بين حركة أمل وبينه»، وبين من يُريد رمي الكرة في ملعب رئاسة الجمهورية، وبين من يعتقد أنّه كان الأجدى الخروج من الشارع وعدم الردّ على النار «فتكون قضيتنا أقوى». على دوّار الطيونة شبابٌ يقولون إنّهم ينتمون إلى حركة أمل، يسردون ما جرى: «تقدّمنا باتجاه جادة سامي الصلح لمالاقاة الاعتصام أمام قصر العدل. بدأ الاستفزاز ورشق الحجارة علينا من خلف مدرسة الفرير، فردّينا بالحجارة، لنبدأ بعدها القنص علينا. ما جرى بعدها من دفاع عن النفس تمّ بطريقة غير مُنظّمة».

قرابة الثانية ظهراً، ومع انطلاق تشييع الضحايا، «لعلع» صوت الرصاص في سماء المنطقة. بين من اعتقد أنّ المواجهات عادت، ومن هرب للاحتماء في مدخل إحدى البنايات، ومن أكمل سَيره «طبيعياً»، كان سكّان في عين الرمانة وفرن الشباك يُعلّقون: «نحنا تعودنا عا هالأصوات».

قلب عين الرمانة يقي بمنأى عن الأحداث، تماماً كأحياء الطيونة الفرعية، لتنحصر المواجهات عند خطوط التماس. عناصر القوات اللبنانية «يحرسون» مركزهم الحزبي، وقد انتشروا أمس أصلاً أمام مراكزهم في الأشرفية. «ما في شي اليوم، رايقة. مبارح كنا قاعدين برّا، بس بلّش الرصاص سكّرنا وطلعنا عا البيت»، يقول صاحب الدكّان الصغير، مُعطياً توجيهاته لكيفية الاحتماء من الرصاص «الطائش».

الجيش نفّذ مداهمات أمس في عين الرمانة، و«ونشروا صوراً لشباب لا يعيشون أصلاً في البلد»، بحسب عماد. يقول إنّه أمضى يوم الخميس يتنقّل بين الشوارع، «لم أر مُسلحين ظاهرين في عين الرمانة كما أشيع. ومستحيل أن يكون القنّاصون من القوات اللبنانية، لأنّ كل البنايات المواجهة لطريق صيدا القديمة يسكنها أشخاص من الطائفة الشيعية. لا أعلم ربّما يكون طرف ثالث». الاتهام جاهزٌ في عين الرمانة لـ«هنّي». يقول مناصر للقوات إنّ المتظاهرين «بدأوا بالاستفزاز، رشقوا الحجارة، أطلقوا أول طلق ناري وأصابوا شاباً من عائلة طوق ما اضطر والده وقريبه إلى الردّ. كنا بحالة دفاع وليس هجوم». يُبرّر بأنّ شباب عين الرمانة «اتخذوا قراراً بعدم السماح لأحد بالدخول والاعتداء على الممتلكات، فوقفوا على المداخل لإثبات الوجود وليس لإراقة الدماء. كلّ ما حاول أحدهم التقدّم صوبنا، أطلقنا النار أمامه. ما بقا في حدا بيستوطي حيطنا».

الهدوء الفعلي كان في شارع بدارو شبه الفارغ نتيجة التزام أغلب المقاهي والمطاعم والمحلات بالإقفال العام. من فتح باب رزقه، غلبت على أحاديثه جريمة الخميس. «أنا بحبّ السيّد حسن، بس ما هنّي كمان نزلوا. كل واحد عندو سلاح بزّل، وما حدا بلبنان ما عندو قطعة». رجل خمسيني ذكّرته المواجهات «بالحرب ولمّا تهجّرنا، وقلت الله يستر. بس انشالله خلصت، والاثنين بكون مشي الحال».

مقالة

فقّاعة السلم الأهلي

جمال غصن

لا بأس أن تلجأ إلى العيش في فقاعة حفاظاً على صحّتك النفسية والجسدية في عالم تتعرّض فيه لعنف دائم. بل إذا كنت قادراً على ذلك اللجوء، وغير قادر على فعل أي شيء يفيد ناسك وشعبك ويرفع عنهم ذلك العنف، فمن الأفضل أن تلتزم فقاعتك وتستتر في نعيم الملجأ (كم هي بشعة كلمة ملجأ في ذاكرتنا الجماعية). أما أن تكون فقاعياً وتتعاطى الشأن العام، فمن الطبيعي أن تكون خارج المكان والزمان للأحداث، وأن تدّعي مناصرة قضايا تظنّها أولويات الشعوب، بينما هي لا تتعدّى كونها ترفاً ووهماً فقاعياً.

هناك تقليد شائع في إعطاء الحروب تواريخ بداية ونهاية، توقيت الرصاصة الأولى والطلقة الأخيرة. كما يحبّذ تحديد السياق الجغرافي للحرب والجبهات وخطوط التماس. إذ يعطي ذلك الناس راحة نفسية بمحدودية الحرب المكانية والزمانية وإمكانية الفصل بين مراحل الحرب والسلم. فعندما تنتهي الحرب يليها بطبيعة الحال السلم، وذلك يمنح الناس القدرة على اختتام مرحلة، ويساعدهم على طمس الفاجعة والاستمرار في الحياة التي لا تتوقف ولا تبطئ وفقاً لمزاج الأفراد، بل تكمل بوتيرتها نفسها منذ الأزل وإلى ما لا نهاية، حتى لو فنيت فصائل من الكائنات الحيّة بما فيها البشرية. في الواقع، هناك نظريات علمية تقول إن الأيام تطول جزءَين بالآلاف من الثانية كل قرن، لكن لن ندخل في هذه المعادلة في حين أننا نعيش كل يوم بيومه.

الحرب في لبنان انتهت في 13 تشرين الأول 1990 وفقاً للرواية الشعبية وويكيبيديا، وهي ذكرى لا يحييها إلا من هُزم في ذاك اليوم وعاد ليرأس البلاد اليوم. عمّ السلم مذّاك ولا سيّما على جسر المطار وفي قانا عام 1993 وفي قانا عام 1996 إلى جانب الاغتيالات والسيارات المفخّخة وجريمة قتل القضاة الأربعة في 1999، والتي لا تزال صيدا تمنع تجوّل الدرّاجات النارية فيها لأن القتلة كانوا يتجولون على درّاجات نارية، فارتأى في حينها القضاء اللبناني الاقتصاص من وسيلة تنقّل بدل الجناة الذين تواروا عن الأنظار. وتبعها طبعاً شرق أوسط جديد لم يرَ النور وسلم نهر البارد و7 أيار وكذبة النأي بالنفس الكبرى التي شارفت على نهايتها بعد عقدٍ من الزمن الدموي. الواقع هو أن الحرب لم تنتهِ في السفارة الفرنسية في الحازمية في 13 تشرين الأول 1990 ولم تبدأ في عين الرمانة في 13 نيسان 1975، بل إنها تأخذ أشكالاً متنوّعة، وبأتت تعرّف في يومنا هذا بالحرب الهجينة. إذ تتعدّد أساليبها وجبهاتها وهي ممارسة يومية للعنف على الشعوب حتى الإخضاع، أو القتل. فمهندس إفلاس اليوم، على سبيل المثال، جنرالٌ من جنرالاتها جاء على ظهر قاذفة يوروبوندز نيوليبرالية في التسعينيات، وأمراء تقاسم غنائم السلم الأهلي اصطفوا جنداً في المنظومة إلى جانب كارتيلات الاحتكار الرأسمالي.

خلال هذه الحقبة من السلم الأهلي كانت الفقاعية أسهل الخيارات للخلاص الفردي، إذ لا جدوى من المواجهة في زمن السلم. نشأت فقاعات تنفيعية في الدولة وفقاعات قطاع خاص في مجمعات سكنية مسوّرة (كومباوندات) مجاورة لآبار النفط لمن أرادوا البقاء في الجوار. وطبعاً ظهرت فقاعات صغيرة في المدينة تتعاطى شؤون السلام والخطاب الحقوقي الليبرالي الخالي من السياسة، وذلك لأن الحرب باتت وراءنا ولا شيء يفصلنا عن الازدهار والحرية، بل الحريات بالذريعة، إلا الحكم الرشيد. حدث كل ذلك في خضم حرب أهلية عربية كبرى، تلت غزو الولايات المتحدة لأفغانستان والعراق، ولُوِّنت بألوان الربيع. وشهدت الحقبة صعود حركة الإخوان المسلمين إلى الحكم في مصر وتونس، ثم تصفيتها من قبل العسكر في الأولى وجاري اجتثاثها في الثانية. كما ظهرت دولة إبادية في العراق والشام محت الحدود وقرونياً من التطور البشري قبل أن تهزم بفضل تضحيات آلافٍ ممّن لم ينعزلوا عن شعوبهم ومصيرهم. لم يعنِ أي من ذلك فقاعيي وفقاعيات لبنان الكبير، هذا ولم نتطرّق بعد إلى فلسطين وتطوّر المواجهة فيها عسكرياً وعلى الجبهات الأخرى.

النأي بالنفس ضرورة على المستوى الشخصي في بعض الأحيان. لكن لا ينطبق ذلك على وطن، ولبنان ليس فقاعة مهما كثر الفقاعيون فيه. ما يميّز الفقاعة هو غلافها الهش الذي تمحوه نفخة هواء، فما بالك إذا خرقتها رصاصة. فهناك حقيقة لا يمكن إنكارها وحرب متعددة الجبهات وجنود يحاربون، وهناك من يعتدي وهناك من يقاوم. قد يصبر مقاوم على اعتداء ويعضّ على جرح بداعي البصيرة أو الضعف المرحلي، لكن المعتدي لا يهادَن فهو يملك ترف القدرة على ممارسة العنف النظامي اليومي، بل هو ما يُحييه.

في لبنان فقاعة مؤثرة ومستأثرة بالإعلام والشأن العام، أو بالأحرى تأثيرها منفوخ ومنتفخ إلى أقصى حدّ. لا يمكن انتفاخها أكثر دون أن تستسلم لهشاشتها وتخلي مساحتها للحقيقة الصلبة. في هذه الفقاعة نما وهم ثورة منذ عامين، واستبدل بحلم المنقذ الفذّ الحامل لميزان العدالة والقادم لإحقاق الحق من كنف الدولة الفاسدة والمرتهنة. «كلّن يعني كلّن» إلا هو. هذه الدولة لا تنأى بنفسها عن كل اعتداء، فحسب بل ترحّب به. منذ عام ونيّف أصدرت واشنطن عقوبات على وزيرين سابقين بتهمة تمكين مجموعة مصنّفة بالإرهابية من قبل من يصنفون أنفسهم قادة العالم الحرّ. لم تحتجّ الدولة اللبنانية على العقوبات على «رجالات دولة منها وفيها» ولا على تصنيف من حرّر أرض لبنان من احتلال بالإرهابي، بل يبتسم قائد جيشها في صوَر مذلّة إلى جانب سفيرة واشنطن حين توبّخه أو تتكرّم عليه بالخردة. هذه الدولة هي نفسها اليوم تلاحق نفس الوزيرين في ادّعاء غير متصل بتهمة واشنطن لهما، وسط حماسة الفقاعة التي نأت بنفسها عن كل صراعات الأعوام الأخيرة لتقرّ فجأة أن هذه هي معركتها. قرار أن تكون «بوز المدفع» الأميركي ما بعد مشهد مطار كابول لا يمكن أن يتخذه إلا فقاعيّ «عايش بالخسّة». نصيحتي لك، اشتغل على الانتخابات وابقَ في الخسّة، واترك المعارك الجدية للجدّيين، فلن تنتهي الحرب إلا باستئصال آخر نفوذ لأسيادك من منطقتنا.

الأخبار
al-akhbar
■ رئيس التحرير ـ المدير المسؤول: ابراهيم الأمين
■ نائب رئيس التحرير: بيار أبو صعب
■ مدير التحرير: وفيق قانصوه
■ مجلس التحرير: حسن عليق، أمل الأتحري
■ المدير الصفي: صلاح الموسى
صادرة عن شركة أخبار بيروت
■ المكاتب: بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد ـ الطابق الثامن
■ تلفاكس: 01759500، 01759597
■ ص.ب 113/5963
■ الإعلانات: الوكيل الحصري ads@al-akhbar.com 01/759500
■ التوزيع: شركة الأوائل 15ـ01/666314 ـ 03 / 828381
■ الموقع الالكتروني: www.al-akhbar.com
■ صفحات التواصل: /AlakhbarNews @AlakhbarNews /alakhbarnews-paper

اليسار اللبناني في الحرب الأهليّة [2]

أسعد أبو خليل *

لا يزال الحديثُ هنا عن كتاب سليمان تقي الدين، «اليسار اللبناني وتجربة الحرب: منظمّة العمل الشيوعي (اللُحمة والتفكّك)»، وهو بحقّ من أهم الكتب التي نُشرت عن اليسار في الحرب (أدين لأطروحة نيت جورج عن تاريخ الحرب الأهليّة، والذي أعدّها في جامعة رايس في تكساس، لأنها عرفتني إلى أهميّة الكتاب من زاوية تاريخ الحرب) ويذكرنا تقي الدين بمرحلة جميلة من الأدب السياسي: كان هناك جهد حقيقي لصياغة شعارات سياسيّة رنّانة، لكن كانت كتابات الحائط تأتي مركزيًا من المكتب السياسي (ويا ويل الرفاق الذين قرّروا ذات يوم ملء جدران بيروت بشعاراتٍ من قريحتهم لأن المركزيّة الديمقراطيّة في الحزب لم تكن تسمح بالعفويّة السياسيّة). وكان هناك كرّاسات تنشرها الأحزاب لنشر أفكارها بين الطلّاب. أما اليوم، فهناك شعارات تويتريّة والأحزاب التقليديّة لا تزال تجد صعوبة في التعامل معها. والأحزاب السياسيّة العريقة مثل الحزب الشيوعي اللبناني والحزب السوري القومي الاجتماعي تعبّر عن ارتباك ما في كتاباتها على المواقع. والتحرّك اليساري في زمن سليمان تقي الدين كان بالفعل عروبيًا وأمميًا. كان الناس ينظاهرون وبحماس شديد مناصرين ليس فقط لشعب فلسطين بل أيضاً لقضايا عربيّة مختلفة وللصراع الأممي. أين نحن من ذلك؟ كيف تقوقعت أحزاب اليسار في وطنيّة ضيّقة لم تكن أبداً منسجمة مع مسار اليسار في ذلك الحين؟ أذكر كم كنا ننفر من العلم اللبناني والنشيد في زماننا (أذكر أنني تشاجرت مع الذين دعوني قبل سنوات لإلقاء محاضرة في نادي التضامن في صور لأنني تبرّمت من وجود علم لبناني ومن عزف النشيد اللبناني).

ويذكر تقيّ الدين الدور الكبير الذي لعبته الحركة الطلّابيّة في اليسار. هذه حقبة لا تشبه ما تلاها. كان هناك ثورات وانتفاضات مستمرّة في الثانويّات التي كانت تحتضن الطبقات الشعبيّة: مثل الشياح ورمل الظريف وراس النبع. وكنتُ الحظ الفروقات بين النشاط الطلابي في المدارس النخبويّة الخاصّة وبين المدارس الرسميّة: الأخيرة كانت حبلى بالثورة وكان تلاميذها مستعدين لحمل السلاح والتضحية، فيما كان نشاط المدارس الخاصّة معزولاً ومحدوداً ومحصوراً تقريباً بحركة «فتح» لأنها لم تكن تتطلّب التضحيات أو «الخدمة الثوريّة» من مناصريها (أتكلّم عن فترة أواخر السبعينيّات وأوائل الثمانينيّات التي عرفتها عن كثب). وخلافاً للفترة الحالية، كانت انتخابات الجامعات ـ الخاصّة واللبنانيّة ـ تحوز اهتمام الأحزاب والمنظمات اللبنانية والفلسطينيّة. روى لي لبناني (معروف) أنه فاز في انتخابات مجلس الطلبة في أوائل السبعينيات في الجامعة الأميركيّة في بيروت فاستدعاه أبو إياد في تلك الليلة وطلب منه بلطف التنحّي لأن المرحلة كانت تتطلّب فوز طالب فلسطيني، وقبل الطالب اللبناني بذلك وكان من أنصار «فتح». ويبدو أن السفارة الأميركيّة كانت هي أيضاً ترصد عن كثب انتخابات الجامعات وتشكيل مجلس الطلبة. هناك وثيقة أميركيّة جديدة للقاء مع وزير التربية في «حكومة الشباب» في عهد فرنجية وفيها يُطمئن غسان تويني ـ الوزير العصري، قبلَ عنه آنذاك ـ موظّفو السفارة الأميركيّة أنه سيتدخّل في انتخابات الجامعة اللبنانيّة كي يمنع فوز اليسار (قال إنه سيدعم اليمين في «حركة الوعي»). وينسى البعض الأرث البغيض لحزب الكتائب. من يعلم أن حزب الكتائب (و«الأحرار» و«الكتلة الوطنيّة») حارب نشر العلم والمعرفة بين المسلمين؟ كانت الأحزاب الانعزاليّة تحارب إنشاء جامعة لبنانيّة، وكانت تخشى من نشر الوعي بين المسلمين (ثم يقولون لك اليوم إن جلّ همّ حزب الكتائب كان محاربة التوطين). وحتى الشهادات الثانوية والجامعيّة من الأحياء العربيّة لم تكن دولة لبنان تعترف بها. كانت هناك مظاهرات وتحرّكات من أجل قبول شهادة «التوجيهيّة». ويذكر تقي الدين من النضال الطلابي مطلب إلغاء فرض اللغة الأجنبيّة في الباكالوريا لأن تعليم اللغات الأجنبيّة في المدارس الرسمية كان ـ ولا يزال ـ ضعيفاً. وكانت هناك مطالب بتعريب التعليم الذي رفضته الدولة المُتفرنجة. وكانت هتافات الحركة الطلّابيّة مُعبرة عن المعاناة: «ما بدهن ابن الفقير، أنه يتعلّم ويصير، بدهم هو يبقى صغير، عبواب الأفندية» أو «قلنالن بدنا التعريب وثقافة وطنيّة، بيقولوا هيدا تخريب والدولة الأجنبيّة» (ص. 64). (كانت الكتب الأجنبيّة المقرّرة في المدارس الخاصّة تحمل مضامين صهيونيّة، وكان زاهر الخطيب أوّل من فضح ذلك في خطاب في مجلس النواب قبل الحرب، وأشار إلى مدرسة «كوليج بروتستانت»).

ومسيرة منظمة العمل الشيوعي فريدة في تاريخنا: إذ هي جهدت كي تبرّر وجودها، إزاء الجبهة الديمقراطيّة لتحرير فلسطين في البداية، ثم إزاء الحزب الشيوعي اللبناني بعد أن اضمحلّت الفروقات السياسيّة بين التنظيمين بعد اندلاع الحرب الأهليّة. وكانت مجلّة «الحريّة» مشتركة بين المنظمة والجبهة إلى أن نشب خلاف بينهما في 1972 وأصدر الطرفان تقريراً أدانا فيه «مرض اليسارية الطفولي» على قول لينين. وكانت الأحزاب الشيوعية التقليديّة تستعين بلينين دائماً لوصم النقد اليساري لأحزابها. وكان اليسار ينشغل بنقد اليمين أحياناً لأن شرذمة التنظيمات وانشقاقاتها تطلّبت تبريرات نظريّة لها (لينين في كتابه «الشيوعية اليساريّة: المرض الطفولي»، يخلصُ إلى القول إن اليمينيّة هي أخطر بكثير من مرض اليساريّة الطفولي). وكانت الجبهة والمنظمة في موقع نقد «التحريفيّة السوفياتيّة» (ص. 72) وتثمين التجربة الصينيّة. لكن في ظروف ليست معروفة بعد (ليس عندي على الأقل) لم يطل الأمر بالتنظيمات والأحزاب الشيوعيّة ـ خصوصاً الفلسطينيّة ـ حتى انضوت في معسكر الاتحاد السوفياتي على حساب موقف قطعي ضد التسوية مع العدوّ. كانت عام 1972 بالدعوة إلى مقاطعة الانتخابات النيابيّة ثم عادت وقررت المشاركة في دعم مرشحي القوى الوطنيّة والتقدميّة. كانت المنظمة في ذلك الحين تتلمّس طريقها. وكان وجود الأحزاب اليسارية مزعجاً لليسار التقليدي: كمال جنبلاط دعا من منبر مؤتمر الحزب الشيوعي اللبناني الثالث في عام 1972 إلى «كنس الشلل اليساريّة» من ساحة العمل الوطني، فيما أعلن الحزب انتهاء ظاهرة «المغامرة اليساريّة» (ص. 77). وفي عام 1973 حصل محسن إبراهيم على تأييد الاكثريّة في اللجنة المركزيّة لفصل وضاح شرارة وعدد من أعضاء اللجنة المركزيّة بتهم الانقسام والتمرّد والمراجعة والارتداد. والتحقت المجموعة التي أصدرت وثيقة «المجموعة المستقلّة» بحركة «فتح» ويذكر تقي الدين من بين الذين انشقّوا رياض الدرا ونواف سلام وتوفيق الهندي (والأخير أصبح قواتياً واتّهم في التسعينات بالعمالة لإسرائيل).

ويتحدّث تقي الدين بصراحة نادرة عن ظاهرة تهميش واستخدام الكوادر المسيحيّة في المنظمة لأهداف إعلاميّة. وتم إنشاء منظمة «المسيحيّين الديمقراطيّين» كان المسيحيّين داخل الأحزاب اليساريّة شكلوا ظاهرة هجينة أو غريبة وأنه من الضروري استغلالهم في الدعاية ضد الانعزاليّين. وأفرط المدعو ميشال غريّب (المعروف يومها بمحمد ميشال غريّب) في استعمال لافتة المسيحيّة ضد القوى الانعزاليّة ما رسّخ ربط القوى الوطنيّة بالإسلام.

وبعد عام 1973، تحوّلت المنظمة إلى حزب شيوعي كلاسيكي وقلّ تباعدها عن الحزب الشيوعي اللبناني، في السياسة أقلّه. وبحلول عام 1975، لم تكن المنظمة تعرف نظام التفرّغ الحزبي. وساعدت موارد من «فتح» ومن اليمن الجنوبي في تشكيل ميليشيا خاصّة بالمنظمة، والمنظمة، مثلها مثل كل الأحزاب الشيوعيّة في الحرب، عُرفت بانضباط مقاتليها وامتناعهم عن ارتكاب ما لحق بممارسات القتال المسلّح من موبقات في سنوات الحرب (من تشبيح إلى سرقة واعتداء وتحرش واغتصاب).

محسن إبراهيم (أرشيف ـ مروان طحطح)

وديع حداد (أرشيف)

وحدها الأحزاب الشيوعية والحزب القومي التزموا بنظام صارم في المسلكية العسكريّة.

وبصراحة كلية يتحدّث المؤلّف عن أثر التفرّغ الحزبي للقيادات في المنظمة (وإن كان كلامه يسري على أحزاب وتنظيمات يساريّة أخرى). أصبح محسن إبراهيم وطالب جنبلاط بتطبيق اتفاق القاهرة وملاحق «ملكارت» بعد 1973، و«تشدّد في الموقف من الفوضى الفلسطينية» (ص. 89). وينتقد المؤلف عدم قدرة الحركة الوطنيّة ولا يظلم تقي الدين اليسار عندما يجزم أنه لم يكن يملك «المبادرة في أية مواجهة عسكريّة أو سياسيّة». ويشمل هذا الجزم اليسار الثوري الذي هو بدوره رضخ لشروط التبريد والتجميد الذي فرضه ياسر عرفات على الجبهات المختلفة، خصوصاً في الجنوب. وكان تدفّق المال من منظمة التحرير على خزائن كل التنظيمات المنضوية في الحركة الوطنيّة يقلّل من الإمكانات الثوريّة لكلّ التنظيمات المتلقّية. حزب العمل الاشتراكي العربي ـ لبنان عُرف بـ«الثغرة» في جبهة الشياح ـ عين الرمّانة في 1975، لكنّه لم يُعِد الكرّة والتزم ـ كما غيره ـ بضوابط اللعبة. وينتقد تقي الدين، وعن حق، هذه التبعيّة من اليسار لكمال جنبلاط من دون رسم حدود لهذه العلاقة. ويتحمّل محسن إبراهيم وجورج حاوي المسؤوليّة عن رفع كمال جنبلاط إلى مرتبة القائد اليساري. وهذا الرفع أضعف من دورهما ومن دور كل تنظيمات اليسار. وتهمّش دور اليسار بعد التدخّل العسكري السوري في عام 1976 وشكّل النظام السوري جبهة موالية له وبديلة عن الحركة الوطنيّة، عُرفت باسم «الجبهة القوميّة» (كان أمينها العام كمال شاتيلا).

ويذكّر تقي الدين أن كمال جنبلاط طرح نفسه قبل الحرب كمُنقذ النظام من الفوضى، وكالمسؤول القادر أكثر من غيره على مواجهة اليسار، كما حدث في تلك المواجهة الشهيرة في نيسان 1969، عندما تظاهر وليد جنبلاط ضد سلطة أبيه. وطالب جنبلاط بتطبيق اتفاق القاهرة وملاحق «ملكارت» بعد 1973، و«تشدّد في الموقف من الفوضى الفلسطينية» (ص. 89). وينتقد المؤلف عدم قدرة الحركة الوطنيّة

> **يعدّل سليمان تقيّ الدين من نظريّة أن العمل الوطني انتهى عام 1982، فيقول إن النهاية كانت عام 1978 (حين فشل التصدّي لاجتياح «إسرائيل»). ووليد جنبلاط بدأ بحوار سرّي مع بشير الجميّل في عام 1980 «بواسطة سمير فرنجيّة»**

على بلورة مشروع اقتصادي اجتماعي وذلك «لعدم المسّ ببعض مصالح فئات مثل ملاكي الأبنية والشقق أو التصدّي للمسألة الزراعية». ويكشف تقي الدين أن جنبلاط كان يعدّ لتسوية مع القوى الانعزاليّة (لماذا يقول تقي الدين «مع المسيحيّين»؟ ص. 96) وأن ذلك كان عاملاً في اغتياله على يد النظام السوري. ويذكّرنا تقي الدين بفصل من فصول التدخل السوري وكيف ارتكبت القوات الكتائبيّة مجازر طائفيّة ضد الدروز في كفر سلوان وصليما وأرصون على مرأى من القوات السوريّة. ويؤكد تقي الدين أن النظام السوري قدّم الدعم للقوات الانعزاليّة في معاركها ضد المخيّمات الفلسطينيّة. (ص. 114).

ويتطرّق تقي الدين وبصراحة إلى وضع فساد وظلم «سلطة الفلسطينيّين» في جنوب لبنان. لكنه يغفل أن العديد من اللبنانيّين كانوا في عداد المنظمات الفلسطينيّة وكانوا يقبضون مرتّبات منها لكن هؤلاء نسوا تاريخهم فيها بمجرّد أن انهارت المقاومة في صيف 1982. لا شك أن سلطة المقاومة الفلسطينيّة في جنوب لبنان كانت تجربة فاشلة وفاسدة ومتسلّطة بكل المقاييس. وكان هناك إعلام رجعي ـ كما اليوم. يتصيّد الفرصة كي يؤلّب الرأي العام المحلّي لصالح العدوّ الإسرائيلي. وكانت هناك محاولات عديدة ومناشدات لياسر عرفات لتنظيم الوضع وضبط الحركات المسلّحة إلّا أنه لم يأبه لكل ذلك. أذكر أنني قبيل اجتياح 1982 ناشدت مثقّفاً فلسطينيّاً معروفاً ـ وكان يرى عرفات أسبوعيّاً ـ أن يفاتحه في أمر الوضع في الجنوب. وكان المثقّف يماطل إلى أن الححتُ عليه ووعدني خيراً. وعندما رأيته بعد أيّام سألته عن ذلك فقال: بمجرّد ما فاتحته بالأمر صاح وغضب وأقفل الموضوع. عرفات هذا كان القائد العام للثورة الفلسطينيّة. واليسار أصبح تابعاً للحركة الوطنيّة والحزب الشيوعي، فدفع ثمن أخطاء الطرفين. وخلافاً لمعظم السرديات المُستحدثة والمُغرضة عن تاريخ اليسار، يتطرّق تقي الدين إلى فصول الحرب بين حركة «أمل» وقوى الحركة الوطنيّة قبل 1982. كل هذا التاريخ غاب لأن هناك أجندة لتحميل حزب الله (لم يكن موجوداً) مسؤوليّة الحرب على اليسار في حينه. وتقي الدين على حق في أن الصراع عكس «أزمة العمل الوطني» في بيروت والجنوب (ص. 139). وهناك فصل آخر من الحرب على الشيوعيّين: كيف تعرّض الشيوعيّون في الجبل لاعتداءات طائفيّة من قبل الجنبلاطيّين (ص. 157). وعن انكفاء المقاومة الشيوعية يقول تقي الدين: «خرجت منظمة العمل الشيوعي من العمل المقاوم نهائيّاً عام 1985 واستمرّ الحزب الشيوعي حتى نهاية 1989 عندما أدّت أزمته الداخليّة وصراعاته إلى انكفائه النهائي، وبذلك خسرت المقاومة طابعها الوطني الشامل». (ص. 159). وفي طرابلس: «تعرّض الحزب الشيوعي لحملة تصفية في صراعه مع الجماعة الإسلامية و«فتح» في عام 1984، وفي بيروت أقفلت حركة «أمل» وحزب الله الضاحية الجنوبية في وجه اليسار». لكن الواقع أن المناطق هذه أصبحت عصيّة على اليسار لأن ناسها هجروا أحزاب الحركة الوطنيّة طوعاً وإما التزموا منازلهم أو هم انضووا في صفوف حركات طائفية متنوّعة (الحريري أو حزب الله أو «أمل») أو الحزب التقدمي). يقول تقي الدين: «فقد اليسار تمايزه واستقلاله فتوقّف عن النمو ثم أخذت تتسرّب منه العناصر التي التحقت به إلى البيئات الطائفيّة، التي جاءت منها». (ص. 166) وتقي الدين يعدّل من نظريّة أن العمل الوطني انتهى في عام 1982 فيقول إن النهاية كانت في عام 1978 (حين فشل التصدّي لاجتياح إسرائيل). ووليد جنبلاط بدأ بحوار سرّي مع بشير الجميّل في عام 1980 «بواسطة سمير فرنجيّة». (ص. 166).

وعن التقصير الفظيع الذي كان كارثيّاً للقضيّة الفلسطينيّة، يقول تقي الدين إنه كان للقيادة الفلسطينيّة «نحو عشرين ألف مقاتل، فضلاً عن الأسلحة والإمكانات الأخرى»، لكن منظمة التحرير «تعاملت مع الاجتياح الإسرائيلي بشكل تكتيكي مفترضة أن «عمليّة سلامة الجليل» ستقتصر على أرض الجنوب. فانكفأت دون قتال جدّي فإذا بها تُحاصر في بيروت وتضطرّ إلى قبول خروجها من لبنان» (ص.163-64). والمؤلم أن هناك اليوم من يتحدّث عن نصر مبين في التعامل مع الاجتياح الذي قضى بالضربة القاضية على الثورة الفلسطينيّة. وهناك قوى اليمين الرجعي وحلفاؤها من اليسار الغريب (هؤلاء الذين يرون في «إمبرياليّة إيران وروسيا والصين» خطراً لا يقلّ عن إمبرياليّة أميركا) الذين يشيرون بالبنان إلى تجربة منظمة التحرير والحركة الوطنية في في 1982 كنموذج بديل وناجح عن المقاومة الحالية.

ويتحدّث تقي الدين بأسى عن سقوط الشيوعيّة في تجربة الحزب الشيوعي اللبناني ومنظمة العمل بعد انهيار الاتحاد السوفياتي، حيث طرح جورج حاوي مشروع «حزب يساري ديمقراطي بملامح ليبرالية»، فيما قدّم محسن إبراهيم في عام 1990 مراجعة بأفكار «عتيقة ولم يتورّع عن استخدام قراءة إسلاميّة... مثل كتاب محمد باقر الصدر (فلسفتنا واقتصادنا)». (ص.169). لم تسقط الشيوعيّة في بلادنا نتيجة مؤامرة ضدّها: هي بالتأكيد عانت لعقود من مؤامرات غربيّة وخليجيّة وتقدميّة ضدّها، لكن السقوط الذريع، بعد سقوط الاتحاد السوفياتي، كان نتيجة انتحار قصير النظر.

* كاتب عربي ـ حسابه على تويتر @asadabukhalil

الرفيق غسان صفي الدين

في الحلقة الأولى من سلسلة مقالاته حول اليسار اللبناني، كتب أسعد أبو خليل مستنداً إلى كتاب سليمان تقي الدين، عن تشكّل مجموعة «في الجامعة اليسوعيّة في سنوات قبل الحرب: سمير فرنجيّة، جو ميلا، أمين معلوف، اليكو بيضا، هيني سرور، بول أشقر، فؤاد كحيل، نسيم ضاهر، عماد نويهض، نبيل الخشن، غسّان فؤاز». غسان صفيّ الدين، رشيد الضعيف، شوقي الدويهي، مسعود يونس. من بقي من هؤلاء، في خط اليسار بحلول منتصف السبعينيات أو أواخرها؟ كيف يمكن أن يتحوّل هذا العدد الكبير من اليساريّين نحو اليمين؟ إلى أي حد كان هؤلاء يساريّين. علماً أن بعضهم مثل توفيق الهندي بدأ يساريّاً متطرّفاً مع ناجي علّوش وانتهى في القوات اللبنانية، واتّهم في التسعينيّات بالعمالة لـ «إسرائيل». وأمين معلوف عمل في الجهاز الإعلامي لاتفاقيّة 17 أيّار، ويذكر الكاتب أن سمير فرنجية، كما أصبح معروفاً، كان الوسيط بين بشير الجميّل وبين كمال جنبلاط وابنه من بعده».

يقول رفيقنا أسعد موضحاً موقفه: «لم يدر في خلدي التعميم عن كل الأسماء فقط أوردت أسماء منها تلك التي عُرفت في الأذهان بالتحول نحو اليمين». بالنسبة إلينا في «الأخبار»، فنحن نعرف جيداً الرفيق والصديق غسان صفي الدين، ونعرف أن الواقعة المنسوبة لا تخصّه. ونعرفه منذ زمان طويل وطويل جداً، وهو لم يكن يوماً لا تروتسكياً ولا هو درس في الجامعة اليسوعية، وكان يسارياً عنيداً في بيروت كما في فرنسا كما في أماكن أخرى من بيننا كويا نهاية الثمانينيات.

لغسان رأيه في غالبية الأمور القائمة. هو لا يدّعي أنه خبير بكل أحوال الحياة، لكنه يملك شبكة علاقات ومخزوناً معرفياً وثقافياً يضعه دوماً في صورة ما يجري من حولنا في العالم. فكرياً وثقافياً وسياسياً. وهو لم يتخلّ عن قناعاته حيال فكرة العدالة الاجتماعية، ولا تراجع أو تردد في دعم مقاومة الاحتلال والهيمنة والاستعمار. ولا هو تاه بين أندية بيروت الباحثة عن مقعد في زمن الحريرية، أو زمن الرّجل الأبيض بعد عام 2005. وهو ابن الجنوب الذي عاد إليه، بنى منزله فيه، ويقضي وقته بالقرب من فلسطين. لا قلق يعيشه حيال ما يجب علينا القيام به لحفظ حقّنا في حياة حرّة وكريمة في آن. لم يتنازل أمام من خانتهم الفكرة أو اللحظة، وابتعدوا صوب فعل الندامة، وطلب الغفران من قاتل أو فاسد أو عميل... غسان كان ويبقى رفيقاً لصيقاً للقضية التي ترسم الحق بأبهى صوره.

لم يكن أسعد بالتأكيد يقصد الإساءة إلى غسان، وهو أصلاً لا يعرفه شخصياً. ولو كان لأسعد ما يقوله مباشرة لفعل ذلك، إذ لا تنقصه الجرأة لذلك. لكن مشكلة الاستدراك إلى وقائع مروية، في بلاد ممنوع عليها كتاب تاريخ دقيق، تجعل الأخطاء، كأنها مقرّرة أو مقصودة عن سابق وتصور وتصميم. وهذا ليس حال أسعد، ولا حالنا في «الأخبار» التي تجدد احترامها للرفيق غسان.

«الأخبار»

حرب أهليّة... فتدخّل دولي؟

محمد طي *

تنصب جهة داخلية (؟) كميناً لتظاهرة سلميّة متوجّهة إلى مرفق لبنانيّ احتجاجاً على أمر يمسّها والمرفق معنيّ به، ويوقع الكمين في صفوف التظاهرة شهداء وجرحى بالعشرات، وهذا كفيل بأن يمهّد لاشتباكات قد لا تتوقّف بسهولة.

هذا الأمر عايشنا مثله سنة 1974 وصولاً إلى نيسان 1975، وأدّى إلى الحرب الأهليّة. كان حزب الكتائب، الذي ستنبثق منه «القوات اللبنانيّة»، بدأ يدرّب عناصره على استعمال السلاح والقتال. ثمّ أخذ طلّابه في الجامعة اللبنانيّة يتسلّحون بالعصيّ والسكاكين ليعتدوا على الوطنيّين. كما أخذ مسلّحوه ينصبون الكمائن للفلسطينيّين في طرق مرورهم وخاصة في الكحّالة، ويشتبكون معهم. وكانت قيادة الجيش ميّالة إلى موقف الكتائب، لا سيّما وأنّها حاولت تصفية المقاومة الفلسطينيّة ولكنّها عجزت لأسباب، منها الموقف الإسلامي والوطني المؤيّد لها.

كانت سياسة الحركة الوطنيّة المؤيّدة للمقاومة الفلسطينيّة بقيادة كمال جنبلاط، هي تفويت الفرص، خوفاً من الانزلاق إلى مؤامرة قد تكون دبّرت للبنان والفلسطينيّين. لكن الجهة التي خطّطت لتفجير الوضع لم تكن تنتظر أيّ فرصة سوى فرصة استكمال استعداداتها لبدء المعركة.

استمرّ تسخين الأوضاع حتّى 13 نيسان.

في ذلك اليوم، وكان يوم أحد، استقلّت مجموعة من الرجال والنساء والأطفال، من الفلسطينيّين واللبنانيّين، حافلة (بوسطة) وتوجّهت، مروراً بعين الرمّانة، إلى مخيّم شاتيلا حيث حضرت مهرجاناً لإحدى الفصائل الفلسطينيّة، وفي طريق عودتها، عبر عين الرمّانة، تعرّضت لكمين مسلّح فتح عناصره النار على ركّابها، وكانوا بحدود 32 راكباً. واستمرّوا بالرماية حتّى قتلوا معظمهم، ثمّ صعدوا إلى البوسطة وراحوا يطلقون النار على الرؤوس كي لايبقى أيّ إنسان، جريح أو غير جريح، حيّاً. ولم ينجُ إلّا ثلاثة أو أربعة أشخاص من الذين غطتهم جثث الشهداء.

عندها لم تعد أيّ قيادة قادرة على لجم عناصرها وانفجرت الحرب.

استغلّت أميركا و«إسرائيل» الحرب بعد أن كانت الأخيرة قد دربّت عناصر الكتائب و«الأحرار» و«حرّاس الأرز» و«التنظيم» وغيرهم.

عرضت أميركا على المسيحيّين، بواسطة جورج براون، تهجيرهم إلى كندا وجهّزت السفن لهذا الغرض. واحتلت «إسرائيل» الشريط الحدوديّ في جنوب لبنان. وانتهى بها الأمر بأن اجتاحت لبنان، وطردت المقاومة الفلسطينيّة منه. إذاً كانت القوّات مخلب القطّ الذي فتح الطريق للعدوّ الصهيوني لضرب المقاومة الفلسطينيّة.

وطالب، الزعماء المسلمون سوريا بالتدخّل واستنجد بها قادة اليمن. وبدأ الجيش السوريّ بالدخول إلى منطقة البقاع الأوسط فوصل إلى مشارف برّ الياس. ثم تقدّم فيما بعد إلى أن عقد اجتماع عربيّ في الرياض ثمّ في القاهرة في أيلول 1976. تقرّر بنتيجته إدخال قوّات الردع العربيّة إلى لبنان ودخلت، لكنّها انتهت بأن اقتصرت على القوّات السوريّة، التي حمت من بقي من المسيحيّين في المناطق الإسلاميّة ومن المسلمين في المناطق المسيحيّة، ثم أقحم بعض النافذين اللبنانيّين بعض الضبّاط السوريّين في المشاكل الداخليّة الصغيرة التافهة.

ما يجري هذه الأيّام شبيه بما جرى سنة 1974، حملات إعلاميّة وتحريض طائفيّ وتسلّح كما أكّدت وثائق ويكيليكس (البرقيّة رقم 800247 من السفارة الأميركيّة إلى واشنطن- نشرتها الأخبار)، كما كان يجري في السبعينيّات، وتخزين الموادّ الاستراتيجيّة-المحروقات. وكما جرى في بلدان الربيع العربي.

اليوم تطوّرت الأمور إلى اعتداء مسلّح على متظاهرين عزّل تقف خلفهم قوّة لا تستطيع «القوّات اللبنانيّة» ولو ساندها الأميركان أن تواجههم مباشرة، لكنّها تسعى، كما في سنوات السبعينيّات إلى أن تخلق أجواء تسمح بالتدخل الخارجيّ، وفي مقدّمه خاصّة «الاسرائيلي» بطريقة أو بأخرى، إلى المنطقة التي تتمترس فيها هذه «القوّات»، على أمل أن تكرّر «إسرائيل» تجربة طرد المقاومة الفلسطينيّة، بضرب المقاومة اللبنانيّة، بوسائل جديدة.

إذاً لبنان في مرحلة تسخين الأجواء قبل بدء «اللعب». والخشية من أن تُستكمل اللعبة، إذا تذرّع الطرف الذي تستهدفه المؤامرة بسياسة «تفويت الفرص»، دون العمل الحاسم على استئصال شأفته الظاهرة بالضغط الأقصى على الجيش والقوى الأمنيّة، وذلك بالقبض على كلّ متورّط وملاحقة من حرّضه وصولاً حتّى الرأس الكبير.

أمّا إذا عدنا إلى سياسة التراخي وأنصاف الحلول والاعتبارات الطائفيّة والمناطقيّة وما إليها، فسنبكي مثل العجائز بلداً مضاعاً لم نحافظ عليه مثل الرجال.

* أستاذ في كلية الحقوق، الجامعة اللبنانية

فلسطين

الأوروبيّون على خُطى الأميركيّين: لا أموال إلّا بتزوير التاريخ

في إطار الضغوط الأوروبية والأميركية المتواصلة على الفلسطينيين من أجل محو كلّ ما يرتبط بتاريخ بلادهم، اتّساقاً مع ما تتطلّبه «عملية السلام» المزعومة، بدا الاتحاد الأوروبي تطبيق إجراءات تهشّم بحقّ «وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين»، من أجل إجبارها، ومعها السلطة الفلسطينية، على إدخال تعديلات على المناهج الدراسية من شأنه مسخ العديد من عناصر الهُوية الفلسطينية. ويأتي ذلك بينما باتت «الأونروا»، بالفعل، مكبّلة بـ«اتفاق إطار» أميركي، يقلّص، إلى حدّ بعيد، دائرة المستفيدين من خدماتها

أمهلت الاتحاد الأوروبي الفلسطينيين و«الأونروا» حتّى نهاية العام الدراسي 2022 لإنهاء التعديلات (الأناضول)

غزة - رجب المدهون

تتواصل الضغوط الأوروبية والأميركية على منظومة التعليم الفلسطينية. فبعد مطالبة واشنطن بإزالة الدروس والعبارات التي وصفتها بـ«التحريضية على العنف»، جدّدت بروكسل مطالبتها بتعديل المناهج، مشترطةً إزالة بعض المصطلحات لاستمرار دعمها للسلطة الفلسطينية و«الأونروا».

وبحسب ما علمته «الأخبار» من مصادر فلسطينية، فقد أخطر مسؤولون في الاتحاد الأوروبي، الأسبوع الماضي، مسؤولين في «الأونروا»، بجملة ملاحظات ومطالبات بتعديلات في كتب المنهج التعليمي الفلسطيني، كشرطٍ لتقديم دعم مالي جديد للوكالة. وأشار المسؤولون الأوروبيون إلى أن لجنة الموازنات التابعة للاتحاد، أقرّت، أخيراً، تعديلاً على موازنتها لعام 2022 لناحية حجم التمويل الأوروبي للتعليم في الأراضي الفلسطينية، ما لم يتمّ تعديل الكتب الدراسية الفلسطينية. ويُلزم التعديل الجديد، «الأونروا»، باستخدام كتب دراسية تحضّ على «التعايش والتسامح مع اليهودي»، وتقبّل السلام مع إسرائيل، بما يتماشى مع الطرح الأوروبي لتسوية القضية الفلسطينية، على أساس «حلّ الدولتين».

وبحسب المصادر، فقد أمهل الاتحاد الأوروبي، الفلسطينيين و«الأونروا»، حتّى نهاية العام الدراسي 2022 لإنهاء التعديلات، مهدّداً بأنه «إذا لم يتمّ إجراء التغييرات في خلال الفترة المذكورة، سيتمّ تحويل المخصّصات الأوروبية إلى منظمات غير حكومية فلسطينية، لها سجلّ حافل في تعزيز التعايش مع إسرائيل». وعليه، علّق الاتحاد الأوروبي منح «وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين» 23 مليون دولار من المساعدات، إلى حين تغيير الكتب الدراسية التابعة للسلطة الفلسطينية. لكنّ «الأونروا» ردّت على بروكسل بأنها ليست المسؤولة عن المناهج التي تدرّس في الأراضي الفلسطينية، وأن هذا الأمر مرتبط بوزارة التربية والتعليم الفلسطينية، التي تضع المناهج منذ عام 2006، بعدما استبدل المنهاج المصري بمنهاج فلسطيني.

وربطاً بما تقدّم، من المتوقّع أن يجري عرض التعديل الجديد للتصويت العام، في شهر تشرين الثاني، ضمن التصويت على موازنة عام 2022، وذلك بعد إقراره من قِبَل لجنة الموازنة في بروكسل. وبحسب مقدّميه، فإن المشروع يهدف إلى حذف «خطاب الكراهية ومعاداة السامية والتحريض على العنف» من كتب السلطة الفلسطينية و«الأونروا». وحاجج هؤلاء بأن رواتب موظّفي الخدمة المدنية التربويين، الذين يموّلهم الاتحاد الأوروبي، والذين يقومون بإعداد كتب مدرسية فلسطينية، «يجب أن تكون مشروطة بمادّة تعكس قيَم السلام والتسامح والتعايش».

> هدّد الاتحاد الأوروبي بحجب 23 مليون دولار من المساعدات التي يقدّمها لصالح وكالة «الأونروا»

وفي السياق ذاته، كشفت مصادر أوروبية أن التعديل الجديد قُدّم من قِبَل نائب رئيس لجنة الموازنة، أوليفيير شاستل، من حزب «رينيو يوروب» اليساري، بدعم من نائب الرئيس المشارك، نيكلاس هيربست، من حزب «الشعب الأوروبي الوسطي»، وهو أكبر مجموعة في برلمان الاتحاد الأوروبي. وتتّهم الحكومة الفلسطينية، شاستل وهيربست، بانحيازهما الكامل إلى دولة الاحتلال، والتعامل بازدواجية مع القضية الفلسطينية، وذلك اتّساقاً مع اعتراضات قُدّمت إليهما، من قِبَل «معهد مراقبة السلام والتسامح الثقافي في التعليم المدرسي»، وهي هيئة رقابة إسرائيلية تحلّل المناهج الدراسية الفلسطينية.

من جهتهم، يرتكز الفلسطينيون في رفضهم لهذا التعديل، الذي استند إلى تقرير المعهد الإسرائيلي، على أن حكومة المملكة المتّحدة أقرّت، في عام 2018، بأن التقارير الواردة بخصوص المنهج الفلسطيني لم تكن موضوعية في نتائجها، وتفتقر إلى الدقّة المنهجية. وفي خطابه أمام الجمعية العامّة للأمم المتحدة، شجب رئيس السلطة الفلسطينية محمود عباس، ما وصفه بـ«المعايير المزدوجة» المطبّقة على الفلسطينيين، ولكن ليس على إسرائيل، مستشهداً بقضية الكتب المدرسية التي تتمّ مراجعتها وتدقيقها في ما يتعلّق بالجانب الفلسطيني، فيما لا يطالب أحد دولة الاحتلال بمراجعة مناهجها المليئة بالتحريض.

تعديلات منحازة

وتشمل التغييرات التي طلبها الاتحاد الأوروبي تعديلاً في كتاب مادّة الرياضيات للصفّ الثاني الابتدائي، عبر إزالة تمرين تُذكر فيه كلمات «الاحتلال والمسجد الأقصى والحواجز الأمنية». وفي الصفّ الثالث الابتدائي، اشترط إلغاء تمرين يتعلّق بيوم الأسير الفلسطيني، في مادة التربية الوطنية تحديداً. كذلك، طالب الأوروبيون بتعديل في كتاب الرياضيات للصفّ الرابع الابتدائي، وإزالة خريطة فلسطين من أحد دروس اللغة العربية للصفّ نفسه، واستبدال عبارة «القدس عاصمة فلسطين»، بعبارة «القدس مدينة الديانات السماوية». وشملت التعديلات المطلوبة، أيضاً، استبدال خريطة فلسطين التاريخية في كتاب اللغة العربية في الصفّ الثاني الابتدائي، بصورة تدلّ على «الجبال والتلال»، وإزالة صورة جندي إسرائيلي محتلّ من أحد الدروس في الكتاب عينه، إضافة إلى إزالة صورة لجدار الفصل العنصري واستبدالها بصورة لشلّال، في أحد دروس اللغة العربية في كتاب الصفّ الأول الابتدائي.

تقرير

دينامية أردنية متجدّدة: ولّت أيّام «القحط»!

على رغم الاستنفار الداخلي الذي أثارته بهدف امتصاص أيّ تداعيات شعبية محتملة لها، لم تؤثّر «تسريبات باندورا» الأخيرة على الديناميات الخارجية للمملكة الأردنية، التي يبدو أنها تعيش حالياً أكثر لحظاتها استرخاءً. لناحية التخفّف من الضغوط السياسية، مقارنةً بالأعوام الأربعة الماضية. وبينما يستمرّ عبد الله الثاني في سعيه إلى ترميم العلاقة مع سوريا اعتباراً مصلحياً، تعود الحرارة إلى خطّ عمّان - طهران، توازياً مع عكوف تل أبيب على مراقبة تلك الديناميات، واشتغالها على «إصلاح ما أفسده بنيامين نتنياهو مع الأردن

عمّان - الأخبار

عفو خاص مفاجئ وجّه به الملك عبد الله الثاني، الحكومة الأردنية، عن الأشخاص المدانين بجرائم «إطالة اللسان» عليه وعلى أهل بيته، وهو ما سيؤدي إلى تخفيض العقوبة أو جبّها بالكامل، خطوةٌ استهدفت، على ما يبدو، الالتفاف استباقياً على أيّ تداعيات داخلية للتسريبات الجديدة (وثائق باندورا) التي تحدّثت عن امتلاك عبد الله، سرّاً، عقارات في بريطانيا والولايات المتحدة قيمتها 70 مليون جنيه استرليني؛ كون «المكرمة الملكية» سبقت التسريبات بساعات. وفي الاتجاه نفسه، دافع محامو الملك بأن الأخير اشترى العقارات من ماله الخاص، وليس هناك ما يعيب استخدامه شركات تتّخذ من الملاذات الضريبية مقرّات لها في شراء تلك العقارات، بينما وصف الديوان الملكي الهاشمي الأمر بأنه «ليس جديداً أو مخفيّاً»، عازياً سرّيته إلى «اعتبارات أمنية أساسية تحول دون الإعلان عن أماكن إقامة الملك وأفراد أسرته». محاولاً نفي أيّ شبهة صرف من أموال الدول المانحة، علماً أن الولايات المتحدة جدّدت، أخيراً، التزامها بمساعدة الأردن، في «بناء القدرات الأساسية لقوّاته المسلحة، وتعزيز الازدهار الاقتصادي والاستقرار»، وفق ما جاء على لسان المتحدّث باسم وزارة الخارجية، نيد برايس.

كذلك، التقى الملك شيوخ البادية الوسطى ووجهاءها، متحدّثاً أمامهم عن أنها «ليست المرّة الأولى التي يتمّ فيها استهداف الأردن». كما التقى برؤساء وزراء ووزراء سابقين، واستكمل جولاته العادية على مواقع اقتصادية محلية. وبأريحية كبيرة أيضاً، قصد عبد الله الثاني الدوحة، برفقة رئيس الوزراء ووزير الخارجية وسكرتير الملك ومدير المخابرات، إضافة إلى الملكة رانيا التي قلّ ظهورها الإعلامي منذ «حادثة الفتنة» في آذار الماضي. وبدا واضحاً السعي إلى إظهار هذه الزيارة بصورة حميمية وطبيعية، على رغم أنها أعقبت «تسريبات باندورا»، فيما هي تتعلّق، على الأرجح، بترتيبات أمنية لـ«مونديال 2022» في الدوحة، حيث سيتمّ تقديم مساعدات أمنية للقطريين، وهو ما ظهر جليّاً من خلال اللقاءات الأمنية في الفترة الماضية، وأبرزها تلك التي جمعت مدير الأمن العام الأردني حسين الحواتمة، بمدير الأمن العام القطري سعد بن جاسم الخليفي.

سكّة الانفتاح على سوريا... سالكة

يعكس استمرار انعقاد الاجتماعات الوزارية الثلاثية في عمّان بين الأردن وسوريا ولبنان، رغبة المملكة، بموافقة حلفائها من وراء الستار، في استكمال ما تمّ الاتفاق عليه لناحية إيصال الكهرباء الأردنية والغاز المصري إلى لبنان وسوريا، وهو ما تقابله دمشق، إلى الآن، بإيجابية، كونها تريد انفراجاً في العلاقات مع دول الجوار، وعلى رأسها الأردن، للتخلّص من عبء ولو صغير، الأمر الذي عبّر عنه وزير الخارجية السوري، فيصل المقداد، أخيراً، بإعرابه عن أمله عن «فتح أفق جديد للعلاقات مع الأشقاء في الأردن... ونأمل ونتوقع أن تنفتح الدول العربية، ليس على سوريا فقط، بل على بعضها البعض».

على أن عمّان تتجنّب، إلى الآن، الخوض في الجانب الأمني مع دمشق، بل وتحاول عدم خلط الأوراق الاقتصادية والإنسانية مع الورقة الأمنية التي تحتلّ الأولوية بالنسبة إليها. فما تريده الدولة الأردنية، فعلياً، علاقات هادئة مع سوريا، والدفع في اتّجاه حلّ مسألة اللاجئين، إذ إنه مع انتهاء الربع الثالث من العام، تركّز الحكومة الأردنية على الالتزامات الدولية غير المسدَّدة للاجئين السوريين، الذين لم تتجاوز نسبة الاستجابة العالمية لمتطلّباتهم واحتياجاتهم في المملكة خلال العام الحالي، 10 في المئة من الكلفة الحقيقية لاستضافتهم، وهو ما يُتوقّع أن يزداد سوءاً مع تقلّص المساعدات، وتراجع برامج منظمّات «المجتمع المدني». ومن هنا، لا يبدو غريباً تكثيف اللقاءات مع المانحين، واستمرار طرح الأمر في اللقاءات المتتالية سواءً مع الأميركيين، أو الأوروبيين، وبشكل غير علني مع الخليجيين.

> تتجنّب عمّان، إلى الآن، الخوض في الجانب الأمني مع دمشق

وفتح التقارب الأردني - السوري المجال أمام خطوة إيرانية نحو عمّان، تمثّلت في تلقّي وزير الخارجية وشؤون المغتربين الأردني، أيمن الصفدي، اتصالاً هاتفياً من نظيره الإيراني، حسين أمير عبد اللهيان، تناول، بحسب الرواية الأردنية، «الجهود المبذولة لحلّ الأزمات الإقليمية، والاتصالات ومسارات الحوار التي تشهدها المنطقة لحلّ الخلافات، وبناء علاقات إقليمية تُكرّس الأمن والاستقرار». وجاء هذا التطوّر، مباشرة، بعد الاتصال الهاتفي المباشر بين عبد الله الثاني، والرئيس السوري بشار الأسد، في ما يؤشّر إلى أن التواصل الأردني - الإيراني ليس مفصولاً من الترتيبات الجديدة التي يُعمل عليها بخصوص سوريا، ويشارك فيها الخليج.

المخابرات «ترعى» الإصلاح السياسي

على خطّ موازٍ، وفي حدث نادر، التقى مدير المخابرات العامة الأردنية، اللواء أحمد حسني حاتوقاي، رؤساء تحرير الصحف اليومية وعدداً من الكتّاب، في أعقاب انتهاء أعمال اللجنة الملكية الخاصة بتحديث المنظومة السياسية، ورفعها توصياتها إلى الملك. وأكد حاتوقاي، في هذا المجال، أن الدائرة ستعمل بكلّ قوّة لحماية هذه المخرجات وتهيئة الأجواء المناسبة للتدرّج في تطبيقها. كما أكد دعم المخابرات العامة لعملية تشكيل الأحزاب ضمن القانون، مع الأمل في رؤية أحزاب برامجية تخدم الأردن والأردنيين. كذلك، استعرض «إنجازات» دائرته الأمنية في الداخل والخارج، كاشفاً، في ما يتّصل بالعلاقة مع سوريا، أن هناك تنسيقاً أمنياً دائماً لتنظيم الوضع في الجنوب، ودعم البيات الحلّ السياسي، ومعالجة ملفّ اللاجئين، إضافة إلى عودة تسيير حركة البشر والبضائع والتجارة البينية بين الدولتين، وبعض المشكلات المتعلّقة بالمياه والطاقة.

وأشارت تصريحات حاتوقاي حفيظة التيار المحسوب على الهوية الوطنية الأردنية، إذ يرى هذا التيار أن خطاب مدير المخابرات يتجاوز رؤية الجهاز التاريخية لما تمّ بناؤه في مجال الهوية الوطنية الأردنية والمراكمة عليه، مذكّراً بالتغييرات الاقتصادية التي بدأت منذ منتصف التسعينيات وأحدثت خللاً بنيوياً في المملكة، محذراً من أن تحديث دائرة المخابرات لتواكب «روح العصر» كما ذكر حاتوقاي، سيكون له التأثير السلبي ذاته على البنية المجتمعية والسياسية في الأردن، ممّا سيحدث خللاً في التوازنات التي تضمن الاستقرار الداخلي. ويبدو أن المبالغات في طروحات تيار الهوية الوطنية، مردّها الهاجس الديموغرافي، والخوف من إعادة صياغة العلاقة الأردنية - الفلسطينية، لا سيما بعد عمل اللجنة التي ترأسها سمير الرفاعي، آخر رئيس وزراء من أصول فلسطينية.

قصد عبد الله الثاني الدوحة برفقة رئيس الوزراء ووزير الخارجية ومدير المخابرات والملكة رانيا (أ ف ب)

تل ابيب تعود لـ«احتضان» عمّان

في هذا الوقت، وبسلاسة كبيرة، وقّع الأردن وإسرائيل اتفاقاً يتيح لعمّان شراء 50 مليون متر مكعّب من المياه في السنة، من خارج الكميات المنصوص عليها في اتفاقية «وادي عربة». وجرى التمهيد لهذا الاتفاق، الذي يغطّي العام المقبل مع إمكانية تمديده لعامين آخرين، خلال لقاء وزير الخارجية الإسرائيلي يائير لابيد، بنظيره الأردني أيمن الصفدي، على الجانب الأردني من جسر الملك حسين، حيث اتّفق على أن تجتمع الفرق الفنية لإنهاء التفاصيل الفنّية المتّصلة بملفّ المياه، إضافة إلى استكمال اتفاق ضمن «بروتوكول باريس»، سيرتفع بموجبه سقف الصادرات الأردنية إلى الضفة الغربية من 160 مليون دولار سنوياً إلى حوالي 700 مليون دولار سنوياً.

هكذا، تعود العلاقة لتتوطّد من جديد، وهو ما تناول خلفياته الباحث في «معهد دراسات الأمن القومي الإسرائيلي»، عوديد عيران، الذي كتب مقالاً بعنوان: «الأردن 2021 - مدعاة للقلق في إسرائيل، ولكن ليس الذعر»، تحدّث فيه عن «الأزمة الاقتصادية المستمرّة» في هذا البلد، وتساءل: «هل هناك خطر على المؤسسة الملكية في الأردن؟». كما طرّق إلى التحوّل في النهج الإقليمي بخصوص سوريا، وخلص إلى أن «هناك مجالاً للقلق في إسرائيل بشأن ما يحدث في الأردن ، ولكن ليس للذعر»، موضحاً أن «الظواهر التي تحدث في الأردن مقلقة، لأنه حتى التقويض الهامشي لاستقرار المملكة يمكن أن تكون له تداعيات على التوازن اليومي للعلاقات بين الدول وعلى المدى الطويل». ويعتبر أن «الحوار الثنائي على أعلى مستوى في إسرائيل والأردن، والذي جاء بعد شهر من تشكيل الحكومة برئاسة نفتالي بينيت، يتطلّب مزيداً من العناية، حتى يمكن مناقشة حتى القضايا الحساسة بمنتهى الانفتاح»، مقترحاً أيضاً «النظر في إنشاء منتدى سياسي - أمني مصري - أردني - إسرائيلي ثلاثي، يمكن فيه مناقشة التداعيات الإقليمية للقضايا التي تكون للدول الثلاث مصلحة مباشرة فيها. التطورات الإقليمية تبرّر مثل هذه المبادرات».

متفرقات

مقتل نائب بريطاني بعد تعرّضه للطعن

قُتل النائب في مجلس العموم البريطاني عن حزب «المحافظين»، ديفيد أميس، أمس، إثر تعرّضه للطعن «مرّات عدة»، أثناء حضوره تجمّعاً في دائرته الانتخابية شرقيّ البلاد، وفق ما أفاد به شبكة «بي بي سي» البريطانية. وأكدت الشرطة، من جهتها، أنه «تمّ توقيف رجل مشتبه بعد

مدّة قصيرة، ولا بحث عن غيره». وسبق أن تعرّض نواب بريطانيون لهجمات، خلال مناسبات مشابهة في دوائرهم الانتخابية، بما في ذلك النائبة العمالية جو كوك، التي قُتلت عام 2016، قبيل استفتاء «بريكست».

(أ ف ب)

ألمانيا: توافقٌ على تشكيل حكومة

أعلن وزير المال الألماني، أولاف شولتس، أمس، أن «الاشتراكيين الديموقراطيين» و«الخضر» و«الحزب الديموقراطي الحر»، توصّلوا إلى اتفاق مبدئي على تشكيل الحكومة المقبلة. وممّا قاله شولتس، المنتمي إلى «الحزب الاشتراكي الديموقراطي»: «اتفقنا على نصّ. هذه نتيجة جيّدة جداً، وتُظهر بوضوح أنه يمكننا تشكيل حكومة في ألمانيا، تهدف إلى ضمان تحقيق تقدّم».

(رويترز)

تركيا ترفع موازنتها العسكرية 30٪

أعلن نائب الرئيس التركي، فؤاد أوكتاي، عن زيادة بنسبة 30% في الموازنة العسكرية للبلاد، خلال العام المقبل. وقال أوكتاي إن الموازنة المخصّصة لهذا القطاع في عام 2021، بلغت نحو 139,7 مليار ليرة (15,1 مليار دولار)، ومن المقرّر أن ترتفع إلى 181 مليار ليرة. وتبلغ الموازنة الإجمالية، لعام 2022، 1,75 تريليون ليرة، فيما من المتوقّع أن يقدَّم مشروع قانون الموازنة إلى البرلمان التركي قريباً.

(الأخبار)

اليمن

«دومينو» مأرب يتسارع
المديرية الثانية عشرة بيد «أنصار الله»

بعد قرابة يومين من حسمها جبهة الجوبة، سيطر الجيش اليمني و«اللجان الشعبية»، أمس، على كامل مديرية العبدية جنوبي محافظة مأرب، لتُضحي المديرية الثانية عشرة التي تخرج من دائرة سيطرة قوات عبدربه منصور هادي، من أصل اربع عشرة لم يتبقّ منها إلّا جبل مراد ومركز المحافظة. وبذلك، تكون قوات صنعاء قد قطعت شوطاً إضافياً على طريق استعادة المدينة من خصومها، الذين لا تفتأ القبائل تنفضّ من حولهم، واضعة يدها في يد حكومة الإنقاذ

صنعاء ـ **رشيد الحداد**

فقدت حكومة الرئيس المنتهية ولايته، عبد ربه منصور هادي، المديرية الثانية عشرة من مديريات محافظة مأرب، بعدما سقطت الأخيرة، أمس، بيد الجيش اليمني و«اللجان الشعبية»، إثر معارك دامية استمرّت عدّة أيام، وفشل الإسناد الجوّي من قِبَل التحالف السعودي - الإماراتي في حسمها لمصلحة حلفائه. وجاء هذا التطوّر في أعقاب رفض «التحالف» التجاوب مع الوساطات القبلية التي تدخّلت لحقن الدماء في المديرية، علماً أن العبدية سقطت رمزياً منذ أواخر الشهر الماضي، بإطباق الجيش و«اللجان» الخناق عليها من الاتجاهات كافة، ومنحهما فرصة لمقاتلي قوات هادي منها للخروج الآمن بأسلحتهم الشخصية. وأكدت مصادر قبلية، لـ«الأخبار»، سقوط المديرية بشكل كامل يوم أمس، في عملية عسكرية للجيش و«اللجان» تعاونت معهما فيها قبائل العبدية، بعدما رفضت قوات هادي وميليشيات حزب «الإصلاح»، الاستجابة للمهلة الممنوحة لها، والتي امتدّت لـ22 يوماً، للانسحاب. وأوضحت المصادر أن المئات من عناصر تلك القوات والميليشيات اضطرّوا لتسليم أنفسهم أخيراً، على رغم تهديد «التحالف» إيّاهم، الأسبوع الماضي، بالقصف، في حال تسليم المديرية، وذلك إثر مطالبتهم السعودية بالتدخّل لفكّ الحصار عنهم، ليأتي الردّ من غرفة عمليات القوات المشتركة في الرياض بالوعد بتنفيذ إنزال جوّي خلال أيّام. إلّا أن السعودية اخلفت بوعدها، وتركت أكثر من 2000 عنصر من قوات هادي والمقاتلين القبليين الموالين لها ضحايا لحرب خاسرة في العبدية. وأشارت المصادر إلى قيام طيران «التحالف» بشنّ سلسلة غارات مكثّفة خلال اليومين الماضيين فشلت في إعاقة تقدّم الجيش و«اللجان»، وتسبّبت بمقتل عدد من عناصر قوات هادي بغارات خاطئة. من جانبه، أكد مصدر عسكري في صنعاء، لـ«الأخبار»، سيطرة الجيش و«اللجان» على كامل مديرية العبدية بإسهام فاعل من القبائل، لافتاً إلى أنه للعمري "مسيرة طويلة من القتال في صفوف التنظيم، بدءاً من أفغانستان مروراً بالعراق والشام"، مضيفاً أن القتيل "كان ضمن المطلوبين لأجهزة الاستخبارات الأميركية، وتمّ القبض عليه في السعودية ووُضع في سجون آل سعود لعدّة سنوات"، قبل أن تقوم السلطات بالإفراج عنه وإرساله قبل خمس سنوات للقتال في اليمن. كذلك، قُتل عدد من قيادات "اللواء 156" التابع لقوات هادي خلال مواجهات الأسابيع الماضية، وعلى رأسهم قائد جبهة العبدية، العميد ناصر السعيدي، في منطقة بني عبد التي مثّلت خطّ الدفاع الأول عن مديرية العبدية على مدى الأسابيع الماضية. ويأتي سقوط العبدية بعدما حاولت قوات هادي، ومن خلفها السعودية، على مرّ أسابيع، استنفار المجتمع الدولي والأمم المتحدة بعنوان تعرّض سكّان المديرية للحصار من قِبَل قوات صنعاء، وهو ما انساقت خلفه المنظمة الدولية التي دانت قوات صنعاء، واتّهمتها بحصار العبدية وارتكاب جرائم ضدّ المدنيين. لكنّ معظم الإنقاذ نفت، على لسان نائب وزير الخارجية حسين العزي، أن يكون الجيش واللجان قد منعا حاصرا المديرية، مبيّنةً أن عناصر "القاعدة" يتّخذون من المدنيين هناك دروعاً بشرية. وكانت حكومة صنعاء قد فتحت منافذ أمام المدنيين للخروج من العبدية، وأفسحت المجال للمحاصَرين من العسكريين لتسليم أنفسهم، كما عرضت إسعاف جرحاهم.

> **أكّدت مصادر قبلية، لـ«الأخبار»، سقوط المديرية بشكل كامل يوم امس**

يتمّ حالياً تمشيط المناطق القريبة من مديرية جبل مراد، بحثاً عن العشرات من عناصر القاعدة وداعش الفارّين من المديرية. وكان تنظيم "القاعدة"، الذي اعترف بمشاركته الفاعلة إلى جانب قوات هادي في جبهة العبدية قبل أسبوعين، نعى أحد أبرز قياداته العسكرية، ويُدعى ياسر العمري، المُكنّى بـ"أبو طارق العمري"، الذي سقط الثلاثاء في الجبهة المذكورة. وأشار التنظيم، في بيان، إلى أن

في ماوراء الفلتان المتنقّل جنوباً: حرب سعوديّة صامتة ضدّ «الانتقالي»

لا تزال محاولة اغتيال محافظ عدن، أحمد لملس، تتفاعل في الأوساط السياسية والإعلامية، مع الكشف عن مزيد من التفاصيل حول العلاقة «التنافسية» التي كانت قائمة بينه وبين السفير السعودي محمد آل جابر، والظاهر، وفق المعطيات المتكشّفة أخيراً، أن السعودية أرادت من الاغتيال (الفاشل) أن يكون بمثابة ضربة كبرى الى «المجلس الانتقالي»، الذي سعت، في خلال الأشهر الماضية، إلى لَيّ ذراعه، وصولاً إلى محاولة افتعال اقتتال داخلي في صفوفه

صنعاء - **رشيد الحداد**

لم تكد ساعات تمرّ على محاولة اغتيال محافظ عدن، أحمد حامد لملس، وسط مدينة التواهي، بواسطة سيّارة مفخّخة استهدفت موكبه الأحد الماضي، وتوجّهت أصابع الاتهام بالمسؤولية عنها إلى حزب «الإصلاح»، حتى تعرّض معقل الأخير في وادي حضرموت، والمتمثّل في مدينة سيئون، لانفجار عنيف أدّى إلى مقتل ثلاثة ضبّاط يتبعون لوزارة الداخلية في حكومة الرئيس المنتهية ولايته، عبد ربه منصور هادي، والتي أفادت بأن الانفجار ناتج من عبوة ناسفة زُرعت في سيّارة كان يستقلّها الضباط.

وجاءت هذه الحادثة بعد يومين من بدء الوزارة المذكورة نقل مكاتبها من مدينة عدن إلى مدينة سيئون، في إطار ما يُقال إنها ترتيبات جارية منذ أشهر لتغيير «العاصمة المؤقّتة» لما تُسمّى «الشرعية». وفي هذا الصدد، تعتبر مصادر مطّلعة، في حديث إلى «الأخبار»، أن «انفجار سيئون قد يكون محاولة من قِبَل السعودية لصرف الرأي العام اليمني عن دورها المكشوف في محاولة الاغتيال الفاشلة التي طاولت محافظ عدن، وحرف الأنظار عن دوافع مغادرة حكومة هادي مدينة عدن إلى العاصمة المصرية القاهرة عقب العملية بدقائق، على متن طائرة خاصة تمّ استئجارها من شركة Air Mediterranee الفرنسية لأوّل مرّة وبمبلغ كبير، بتسهيل من السعودية، خشية تعرّض الحكومة للانتقام من قِبَل الموالين للمجلس الانتقالي الجنوبي في حال مقتل المحافظ».

وتُظهر ملابسات محاولة اغتيال لملس، أن الجهات التي تقف وراءها كانت تتوقّع نسبة نجاح كبيرة في تصفيته، إذ إن «ثلاث سيارات مفخّخة كانت تترصّده، وتمّ وضع كلّ منها في أحد الشوارع التي يمرّ عبرها». أمّا عن أسباب العملية، فثمّة مصادر سياسية، في حديث إلى «الأخبار»، أنها تعود إلى «بدء محافظ عدن، منذ تعيينه من قِبَل هادي بموافقة السفير السعودي محمد آل جابر، في تموز 2020، بالعمل لمصلحة المجلس الانتقالي في المدينة، والسيطرة على معظم المؤسّسات العامّة للدولة فيها، وتجريد حكومة هادي من أيّ نفوذ في تلك المؤسّسات، إلى حدّ قيام اللجنة الأمنية التي يرأسها لملس، قبل أيّام من محاولة اغتياله، باعتقال 60 عنصراً من حراسات البنك المركزي الموالية للرياض في المدينة، وفرض حراسات أمنية من المجلس الانتقالي بدلاً منها، فضلاً عن فرض السيطرة على العديد من البنود والشركات الحكومية، كشركة النفط في عدن».

وتضيف المصادر نفسها أن «الرياض اعتبرت أن ممارسات المحافظ قوّضت ما تبقّى من حضور مؤسّسي لحكومة هادي في عدن، وهو ما أثار استياءها، ودفعها إلى استدعاء المحافظ أواخر آب الفائت بشكل عاجل، بعد عدّة أيام من رفضه توجيهات رئاسية قضت بسرعة فتح المحاكم والنيابات ومقرّ المجمع القضائي في المدينة، وإخلاء ميليشيات من مؤسّسات تابعة للقضاء أُغلقت من قِبَل نادي القضاة التابع للانتقالي احتجاجاً على تعيين هادي نائباً عاماً جديداً في منتصف كانون الثاني 2021، في قرار اعتبره المجلس مخالفاً لاتفاق الرياض، غير أن السعودية اعترفت بالنائب العام المعيّن من قِبَل هادي واعتبرته شرعياً». وتشير المصادر إلى أنه «قبيل استدعائه بأسابيع، ألغى لملس قراراً رئاسياً بتعيين مديرة لشركة النفط اليمنية في عدن صدر في عام 2018، وأقرّ تعيين قيادي في المجلس الانتقالي الذي يشغل المحافظ أمانته العامة، بديلاً منها، رافضاً توجيهات سابقة لحكومة هادي بهذا الشأن».

وعلى خلفية ذلك كلّه، سعت السعودية، في خلال الأشهر الماضية، إلى لَيّ ذراع «الانتقالي» ومحافظ عدن، اللذين يعملان في اتجاه مناهض لمصالحها، باستخدام أوراق ضغط تسبّبت بانهيار العملة وتدهور الخدمات العامة وحجز الشحنة الرابعة من منحة الوقود المخصّصة لكهرباء مدينة عدن، وهو ما أدّى إلى إغراق المدينة في الظلام لأسابيع، في ما بدا محاولة لإرغام «الانتقالي» والمحافظ على التراجع عن قراراتهما، والعودة إلى طاولة المفاوضات لاستكمال تنفيذ «اتفاق الرياض». وبالفعل، اتفق لملس، بعد استدعائه إلى الرياض، مع آل جابر، على تهدئة إعلامية وسياسية مقابل عودة حكومة هادي إلى تقديم الخدمات وتحسينها في عدن، وتمكّن من الإفراج عن الشحنة الرابعة من الوقود المخصّص للكهرباء، لكنه ظلّ «ولداً عاقاً» بالنسبة إلى الرياض، وزادت خلافاته مع السفير السعودي، الذي يُعدّ صاحب القرار الأوّل في المحافظات الجنوبية، ويرى أن «الانتقالي» يعيق تنفيذ «اتفاق الرياض».

الجهات التي تقف وراء محاولة اغتيال محافظ عدن كانت تتوقّع نسبة نجاح كبيرة في تصفيته (أ ف ب)

تقرير

56 ضحيّة في 2021... و40 على الطريق
السعودية تُعدِم بصمت

ارتفع عدد أحكام الإعدام المُنفّذة في السعودية خلال العام الحالي إلى 56. فيما لا تزال تهدّد هذه العقوبة 40 معتقلاً بينهم قاصرون. ويأتي ذلك على رغم الوعود التي قطعتها السلطات سابقاً بـ«إصلاح» سياسة القتل البارد تلك، لكن الذي جرى عملياً هو الابتعاد عن الإعدامات الجماعية تلافياً لموجات غضب ممتدّة، لمصلحة إعدامات فردية تُنفّذ بصمت، وعلى فترات متقطّعة، ومن دون أن تستثير غضب أحد

سناء أحمد إبراهيم

أعدمت السلطات السعودية، في الخامس من الشهر الجاري، المعتقل الشاب مسلم المحسن، على نحو مفاجئ، ومن دون إبلاغ أهله مسبقاً، وذلك بعد مرور شهر واحد على إعدام معتقل آخر شاب هو عدنان الشرفاء (6 أيلول). وبهذا، ارتفع عدد الذين أُعدموا منذ بداية العام الحالي إلى 56، بينهم 7 بأحكام قتل تعزيرية، أي إنها صادرة وفقاً لتقدير القاضي، لا استناداً إلى عقوبة منصوص عليها في النظام القضائي، فيما توزّعت بقيّة الأحكام بين الحدود والقصاص، في محاكمات لا يمكن الوثوق بها.

وفي حزيران 2021، أعدمت السعودية القاصر مصطفى آل درويش، خلافاً لما كانت تعهّدت به بالتوقّف عن إعدام القصّر، الذين يُجبَرون على الاعتراف بالتهم المُوجَّهة إليهم تحت التعذيب. وفي آب من العام نفسه، قتلت السلطات تعزيراً الشاب أحمد بن سعيد الجنبي، على رغم كونه غير متّهم بالقتل، بل بالمشاركة في تظاهرات معارضة للنظام، علماً أن الجنبي لم يكن، حتى لحظة إعدامه، على دراية بأيّ تفصيل من تفاصيل محاكمته. وفي الشهر التالي، لقي حتفه بالقتل تعزيراً الشاب المهندس عدنان بن مصطفى الشرفاء، وقبل أن يجفّ الدم عن السيف، نُفّذ حكم مماثل بحقّ مسلم المحسن، على رغم عدم ثبوت تهمة القتل على الأخير، واستبدال تهمة أخرى بها هي قيادة الدرّاجة النارية التي كان يستقلّها القاتل.

وكالعادة، حُرمت عوائل جميع الذين أُعدموا من توديع أبنائها، فيما لم تُعلم بمصيرهم أصلاً إلّا من خلال وسائل الإعلام. كذلك، حُظر عليها تسلّم جثامين شبّانها والتي انضمّت إلى ما يقرب من 100 جثمان ضحيّة إعدام محتجَزة لدى السلطات. وتُعرب مصادر أهلية، في حديث إلى «الأخبار»، عن اعتقادها بأن «سلطة محمد بن سلمان ترفض تسليم الجثامين لذويها خوفاً من انكشاف الانتهاكات التي تعرّض لها أصحابها في غرف التعذيب والتحقيق»، محذّرة من أن «احتجاز جثامين الشهداء بعد تصفيتهم بالإعدام التعزيري، يمكن أن تتبعه سرقة الأعضاء من أجسادهم، وهذا أمر غير مستبعد».

> **كالعادة، حُرمت عوائل جميع الذين أُعدموا من توديع أبنائها أخيراً**

وتأتي هذه الحوادث بعدما دأبت السلطات، خلال الأشهر الماضية، على محاولة تجميل صورتها الحقوقية، وإبعاد وصمة القتل عنها. إذ أصدرت ما يُسمّى «هيئة حقوق الإنسان» الحكومية، في كانون الثاني 2021، بياناً عزّت فيه انخفاض أحكام الإعدام المُنفّذة خلال عام 2020 إلى إصلاحات في نظام العدالة الجنائية، ووقف أحكام القتل في جرائم المخدرات. وفي شهر شباط من العام نفسه، أعلنت السعودية عن تنظيمات تشريعية قالت: «إنها سوف تساهم في تطوير البيئة التشريعية، واستقرار المرجعية النظامية، بما يحدّ من الفردية في إصدار الأحكام، ويمنح إمكانية التنبؤ بها»، موضحة أن تلك التنظيمات «عبارة عن مشروع نظام الأحوال الشخصية، ومشروع نظام المعاملات المدنية، ومشروع النظام الجزائي للعقوبات التعزيرية، ومشروع نظام الإثبات». لكن كلّ تلك الوعود ظلّت مفاعيلها، على ما يبدو، رهنَ خطابات ابن سلمان، إذ إن الإعدامات المُنفّذة في العام الحالي، والذي لَمّا ينتهي بعد، باتت مضاعفةً عمّا شهده العام الماضي، الأمر الذي ينبئ بصعوبة التخلّص من هذه السياسة، أو على الأقلّ «تهذيبها» بما يجعلها أقلّ تعسّفاً.

على أن اللافت هو الابتعاد عن حفلات الإعدام الجماعي، كما حدث في كانون الثاني 2016 ونيسان 2019، لمصلحة إعدامات فردية على فترات متقطّعة. وهو ما تُرجعه المصادر إلى أن السلطات «تخشى ردود الفعل الواسعة التي يثيرها الإعدام الجماعي، ومن بينها بيوت العزاء التي تقام للشهداء»، مضيفةً أن «ابن سلمان، الساعي إلى تلافي أيّ عراقيل في طريق وصوله إلى العرش، يعتقد أن الإعدامات الفردية يمكن أن تُمرَّر بسلاسة أكثر من تلك الجماعية، وبالتالي يَسهل امتصاص الانتقادات التي سيُثار ضدّها». وفي الاتّجاه نفسه، حذرت «المنظّمة الأوروبية السعودية لحقوق الإنسان» أخيراً من أن السعودية، وعبر انتقالها من تنفيذ الإعدامات الجماعية إلى الإعدامات الفردية، تحاول امتصاص حدّة الانتقادات التي وُجّهت إليها خلال السنوات السابقة، من خلال تغييرات في طريقة تطبيقها للعقوبة، محذّرة من استمرار المسار التصاعدي لأرقام أحكام الإعدام، والتي لا تزال تهدّد حالياً 40 معتقلاً، بينهم قاصرون.

تأتي هذه الحوادث بعدما دأبت السلطات، خلال الأشهر الماضية، على محاولة تجميل صورتها الحقوقية (أ ف ب)

فيتشر

صناعيّو سوريا: بين همّ الهجرة وضريبة البقاء

رحاب الإبراهيم

«بعد مرور أكثر من ثلاثين عاماً على تأسيس معملي، أعرضه اليوم للبيع، بسبب كثرة الضغوط المرهقة، وقد أهاجر إلى أيّ بلد يقدّر الصناعيين»، يقول الصناعي عبد القادر جلب، ذو السبعين عاماً، والتي قضى أكثر من نصفها في مجال الصناعة والإنتاج. ويعد محاولاته المتكرّرة التأقلم مع واقع الصناعيين المأزوم، وخاصة في مدينة حلب، قرّر الصناعي السبعيني أن يرمي كلّ شيء خلفه، ويرحل. وعلى رغم أن هذا ما فعله أيضاً صناعيّون كُثر في ظلّ أزمة اقتصادية خانقة، إلا أن الحديث عن هجرة جماعية لهم يبدو مبالغاً فيه، في سياق العمل على إشاعة الإحباط، وفق ما يرى البعض. لكن الأكيد أن ترنّي الوضع الخدمي والعيشي يجبر الكثير من الصناعيين على التفكير بالهجرة في الحدّ الأدنى.

وفي هذا الإطار، يلفت عضو غرفة صناعة دمشق وريفها، ماهر الزيّات، إلى أن «الصناعي يقاوم حتى لا يغلق معمله، ورغم أنه فكّر بالسفر، لكن عمره وعمر آلات معمله لا يسمحان له، فهو يعمل حالياً للمحافظة على استثمار عمره»، متحدثاً عن «وجود دعم لتطفيش الصناعيين». وبالنبرة المتشائمة نفسها، يقول الصناعي علاء مرعي إنه «لا يرى آفاقاً للحلّ بعد تراكم المشاكل نتيجة سوء إدارة موارد البلاد»، مشيراً إلى أن «أكبر مشاكل تواجه صناعيّي حلب، هي انقطاع الكهرباء، ونقص المواد الأولية وتقلّبات سعر الصرف، فضلاً عن الإتاوات المفروضة»، متسائلاً عن السبب الذي يعيق تشغيل مطار حلب الدولي، على رغم أن وضعه في الخدمة سينعكس إيجاباً على المدينة.

وليست هجرة الصناعيين السوريين وليدة اليوم، ففي بداية الحرب ومع حصار مدينة حلب، وقعت أكبر هجرة للصناعيين في تاريخ البلاد، حيث اضطرّ عدد كبير منهم لإعادة أعمال كبيرة من الصناعيين، بينما يتمّ الحديث عن هجرة 30 ألف صناعي». ويؤيّده في ذلك الصناعي عاطف طيفور، الكبيرة المثارة حول الهجرة إلى مصر، في إطار حملة ممنهجة أخذت أبعاداً غير واقعية، إذ «تبيّن بعد التقصّي أنه لا يوجد هجرة لأعداد كبيرة من الصناعيين، بينما يتمّ الحديث عن هجرة جماعية مع أنه يوجد يتمّ الحديث عن هجرة جماعية مع أنه يوجد تحسّن نسبي في دعم الصناعيين؟». مرجعاً هذه «الحملة» إلى «ضغوط تُمارس للحدّ من ملاحقة المتهرّبين ضريبياً، ومواجهة قرارات تخضّ حركتَي الاستيراد والتصدير. ويدعو طيفور قطاع الأعمال إلى «عدم التهرّب من مسؤولياته الاجتماعية عبر المبادرة إلى دفع الضرائب وعدم تهريب أموال التصدير، وتشغيل المعامل»، مبدياً تفاؤله بـ«تحسّن الوضع الاقتصادي». ويشاركه تفاؤله عضو غرفة صناعة دمشق وريفها، أكرم الحلاق، عبر تأكيده أن «الوضع الصعب القائم سينجلي قريباً»، مضيفاً: «نحن اليوم في عنق الزجاجة، ومن حق البلد علينا التحمّل لحين انفراج الأزمة». ويبيّن الحلاق أن غرفة صناعة دمشق وريفها «لم تتلقّ من أيّ صناعيّ أي كتاب لإغلاق منشأته بداعي الهجرة»، مشدداً على أن «المعامل رغم كل الصعاب تعمل وتنتج، مع تصدير بضائعها إلى الخارج».

> **اعتبرت السعودية ممارسات لملس تقويضاً لحضور حكومة هادي في عدن**

يتّفق جميع الصناعيين، على اختلاف آرائهم، على أن الحلّ، ولو كان جزئياً، يكمن في معالجة بعض المشاكل المؤثّرة مباشرة على حركة الإنتاج والتصريف، وبالتالي الأرباح والأجور والمعيشة، كمسألتَي انقطاع الكهرباء والمحروقات. وهنا، يؤكّد شيشمان أنه «طالما لا يوجد حلول حقيقية، وخاصة لمدينة حلب، ستظلّ الصناعة الحلبية خصوصاً والسورية عموماً تعاني»، مستدركاً بأن «المعامل لو أُعطيت الكهرباء، مع إلغاء الأمبير، سيكون هنالك بارقة أمل بعودة الإنتاج إلى سابق عهده، كون الكتلة المالية الكبيرة التي تذهب الآن إلى تجّار الأمبير، ستوضع حينها في خدمة الصناعة».

لمصلحة بعض التجّار. وبالمقابل كان التهريب الذي بقي مشرّعاً يساهم في تدمير الصناعة»، مضيفاً إن «الملاحقات الضريبية تسبّبت بتعرّض صناعيين لازمات قلبية أودت بحياة أحدهم، كما يزيد الطين بلّة فرض إتاوات على الباضات الحلبية خلافاً للمحافظات الأخرى بحجّة أن أهل حلب ميسورون!».

في المقابل، يضع رئيس غرفة صناعة دمشق وريفها، سامر الدبس، الضجّة

الحدث

انقلاب السودان على طريق الاكتمال: «الثورة» تبكي في الزاوية

تدخل الإرهاصات الانقلابية في السودان، اليوم، مرحلة حاسمة مع خروج تظاهرات ياصل عبد الفتاح البرهان أن تفتح أمامه الطريق لاتخاذ خطوته الأكبر على طريق تكرار تجربة عبد الفتاح السيسي في مصر. إذ ينتظر البرهان أن تمنحه تلك التظاهرات تفويضاً باستلام دفّة البلاد، والذي كان بدأ التمهيد له منذ فترة بدعوته إلى إطاحة الحكومة الانتقالية. وهي دعوة قد لا تكون خارجة عن السياق الذي بدا منذ فضّ اعتصام القيادة العامة، والذي ارتضت به قوى الانتفاضة، ولم تستطع تغييره لاحقاً بفعل ضعفها وانقساماتها

الخرطوم ـ مي علي

مع اقتراب استحقاق تسلّم المدنيّين رئاسة «مجلس السيادة» الانتقالي وفق ما نصّت عليه «الوثيقة الدستورية»، رمى العسكر بكلّ ثقلهم لضمان استمراريّتهم في أعلى منصب سيادي، إلى درجة المطالبة بحلّ الحكومة وتعيين أخرى بدلاً منها بدعاوى توسيع قاعدة المشاركة فيها. ويعود ذلك، في جزء منه، بحسب مراقبين إلى أن رئيس «مجلس السيادة» عبد الفتاح البرهان، ومعه قائد قوات «الدعم السريع» محمد حمدان دقلو (حميدتي)، يخشيان في حال اكتمال مؤسّسات الحكم المدني من أجهزة عدلية وتشريعية، أن تطالهما المحاسبة على خلفية تورّطهما في جريمة فضّ الاعتصام، ولذلك يلوذان بكرسيّ السلطة لحماية نفسيهما. ولكي لا يبدو الأمر كما لو أنه انقلاب عسكري، يحشد الرجلان عدداً من القوى السياسية التي لم تجد لها موطئ قدم في الحكومة الانتقالية، فضلاً عن عدد من الإدارات الأهلية في الولايات، لإكساب خطواتهما المقبلة الشرعية اللازمة. ولم يُغفل القائدان العسكريان أهمية الإعلان عن وجود خلايا إرهابية في وسط الخرطوم وتصدّي القوى الأمنية لها، في محاولة لنيل تعاطف المواطنين. وبدت لافتة للانتباه، أخيراً، درجة انخراط القائد الأعلى للقوات المسلحة في الفعل السياسي، إلى حدّ تصدّيه للمطالبة بحلّ الحكومة الانتقالية التي يهيمن عليها «ائتلاف الحرية والتغيير»، وتعيين أخرى بدلاً عنها تضمّ مجموعات كانت حتى وقت قريب جزءاً من النظام السابق. وكرّر البرهان مطالبته تلك أمام عدد من ضبّاط القوات المسلحة في أكثر من مناسبة، قبل أن يرفعها بنفسه إلى رئيس الوزراء، عبدالله حمدوك، الذي التقاه أمس وقائد «الدعم السريع»، في محاولة لنزع فتيل الأزمة، بل إن البرهان رفع السقف إلى مستوى الدعوة إلى تجميد نشاط «لجنة إزالة التمكين» المعنيّة بتفكيك نظام الثلاثين من حزيران. ووفق ما ورد من تسريبات، فإن حمدوك رفض قبول تلك المطالب، مذكّراً بأن «الحرية والتغيير» هي التي رشّحته لمنصب رئيس الوزراء وقيادة الحكومة الانتقالية. غير أن مراقبين لا يستبعدون تخلّي حمدوك، في نهاية المطاف، عن ذلك الرفض، وتجاوبه مع دعوة تغيير الحكومة بحجّة عدم إقصاء أحد، شريطة موافقة القوى الثورية ولجان المقاومة، نظراً إلى خشية الرجل من غضبة الشارع عليه، وليس وفاءً منه لقوى «الحرية والتغيير». فهو، ومنذ تسلّمه منصبه، عمل على الانعتاق من قيود حاضنته السياسية، وشكّل مجموعة من المستشارين بامتيازات مالية ضخمة تحت مبرّر حماية الانتقال، وأضعى متماهياً بالكامل مع هؤلاء. وسبقت لقاء البرهان بممثلي الوزراء لقاءات لـ«أوّل مع ممثلي المجموعة الأفريقية ومندوب الاتحاد الأفريقي في الخرطوم، بهدف طمأنتهم إلى كونه حامياً للفترة الانتقالية، وإقناعهم بضرورة توسيع قاعدة المشاركة لتضمّ كلّ القوى السياسية، مع تأكيد الالتزام بالشراكة المنصوص عليها في «الوثيقة الدستورية». غير أن تعهّدات البرهان أضحت، بالنسبة إلى كثيرين، مكشوفة ولا يُعوّل عليها، إذ سبق له، إبّان فترة الاعتصام أمام القيادة العامة، أن تعهّد بعدم الاعتداء على المتظاهرين، لكن ما حدث فعلياً هو ارتكاب مجزرة قُتل فيها الآلاف، ورُميت جثث بعضهم في النيل. أمّا ما يحدث اليوم، فليس، وفق هؤلاء، إلّا محاولة لاستبقاء السيطرة على كُرسيّ الحكم.

بدت لافتة للانتباه، أخيراً، درجة انخراط القائد الأعلى للقوات المسلحة في الفعل السياسي (أ ف ب)

> يُنظر إلى الإرهاصات الانقلابية الحالية على أنها امتداد للانقلاب الأساسي عشيّة فضّ الاعتصام

وينظر محلّلون إلى الإرهاصات الانقلابية الحالية على أنّها امتداد للانقلاب الأساسي عشيّة فضّ الاعتصام، ويرمون بالملائمة في ذلك على ضعف قوى «الحرية والتغيير» وانقسامها واختراقها من قِبَل العسكر وفلول النظام السابق، إلى حدّ دعوة بعضها للخروج في مسيرات اليوم السبت، مؤيّدة لما تلك المسيرات التفويض بقيادة البلاد إلى حين قيام الانتخابات على غرار تجربة عبد الفتاح السيسي في مصر. في هذا الوقت، دخلت الولايات المتحدة على خطّ الأزمة، بإصدار البيت الأبيض بياناً دعا فيه طرفي «مجلس السيادة» إلى تجنّب ما سمّاها «سياسة حافّة الهاوية والاتهامات المتبادلة»، و«العمل معاً لحلّ أي قضايا خلافية من خلال الحوار وبدون شروط مسبقة».

مصر

قضاء بلا منافذ: طلبات السيسي أوامر!

بعدما اصبح الرئيس هو المتحكّم الاول في اسماء رؤساء الهيئات القضائية، بات القضاة، الذين يفترض أن لا ينخرطوا في السياسة، مطالبين بتأييده علناً. وفي الإعلام، لضمان نهاية تكريمية لمسيرتهم

القاهرة ـ الأخبار

ظلّ اختيار رؤساء الهيئات القضائية من قِبَل رئيس الجمهورية سارياً قانونياً حتى انتفاضة 2011، حيث جرى تقييده بضوابط منحت القضاء استقلالية كاملة في هذا المجال. إلّا أن التعديلات التي جرى إدخالها على قانون السلطة القضائية، فور وصول عبد الفتاح السيسي إلى الرئاسة، وإعادة أحقيّته في تعيين رؤساء الهيئات القضائية، جعل النظام يعود للتحكّم في القضاء، ولكن بصورة فجّة وغير مسبوقة. وعلى رغم أن السيسي صدّق على قانون تعديل اختيار رؤساء الهيئات القضائية، في عام 2019، غير أن التمكين لم يحدث سوى منذ أشهر عدّة، في ظلّ تطبيق القانون الجديد على جميع الهيئات، مع خروج رؤسائها السابقين إلى التقاعد. بالتالي، جاءت اختيارات الرئيس للرؤساء المعيّنين، نظريًا، من بين ترشيحات قُدّمت له، بينما كانت عملياً بتوصية من الإستخبارات، التي دفعت هؤلاء القضاة إلى صدارة المشهد.

ومع بداية العام القضائي، في الشهر الحالي، جمعت الاستخبارات مختلف رؤساء الهيئات القضائية أمام الرئيس، في احتفالية "يوم القضاء المصري"، التي بُثّت على شاشات التلفزيون. وتخلّل الاحتفالية تكريمٌ لقضاة راحلين، بينما بدا، بشكل واضح، نجاح السيسي في تنفيذ استراتيجية السيطرة الكاملة على القضاء، من خلال الرؤساء المُختارين الذين ذهبوا بعيداً في إشادتهم به لاحقاً. ولم يكن من المتعارف عليه ظهور رؤساء الهيئات القضائية على الشاشات إلّا نادراً، لكنّ ما جرى ترتيبه ومراجعته، هو ظهورهم المكثّف للحديث عن استقلال القضاء. وقد جاء ذلك في موازاة محاولة السيسي تحسين صورته، في وقت جرى إدخال المرأة إلى مجلس الدولة، إضافة إلى تمرير مشروع الحكومة بشأن تنظيم المجلس الأعلى للجهات والهيئات القضائية، الذي تمّ إيقافه قبل عامين بعد اعتراضات القضاة.

وعلى رغم أن المجلس الأعلى للجهات والهيئات القضائية - والذي جرت استعادة النصّ على وجوده في التعديلات الدستورية التي مدّدت ولاية الرئيس، ومنحته فرصة الترشّح حتى انتخابات عام 2024 - كان منصوصاً على وجوده في الدساتير السابقة، حتى عام 2008، عندما جرى إلغاؤه، لكنه لم يكن فعّالاً أو ذا تأثير واضح، إلى درجة أنّ مرّات اجتماعه إبّان حكم الرئيس الأسبق، حسني مبارك، لم تتجاوز أصابع اليد الواحدة. أمّا ما يرغب به الجنرال، حالياً، فهو استكمال السيطرة، عبر إجبار المجلس على الاجتماع كلّ ثلاثة أشهر، على الأقلّ، لإجراء المداولات بشكل سرّي، في الوقت الذي يُفترض أن يكون اجتماع الرئيس مع رؤساء الهيئات القضائية بروتوكولياً، مرّة كلّ عام كحدّ أقصى. ويعتزم السيسي إجراء تعديلات، من خلال المجلس، مرتبطة بشروط التعيين في الجهات القضائية، وتحديد حدّ أقصى للعمالة، وتحقيق المساواة بين مختلف الهيئات القضائية، وهو أمرٌ سيتضرّر منه عددٌ محدود من القضاة، مثل قضاة المحكمة الدستورية والمجلس الدولة، فيما سيستفيد منه قطاع عريض من القضاة والمحقّقين في بقيّة الهيئات. ويواصل السيسي إعادة هيكلة القضاء المصري من منظوره الشخصي، وهو أمرٌ لا يقتصر على آلية تعيين رؤساء الهيئات، ولكن على التعامل مع القضاة، بشكل عام. ففي مقابل التنازلات التي يقدّمها لهم من أجل تعيين أبنائهم وأشقائهم وإعطائهم الأولوية، كلّ عام، بنسَب تتخطّى الـ50 في المئة من المتقدّمين، ينتزع مزيداً من الصلاحيات التي تتيح له التدخّل. ويبرز ذلك، بدايةً، من خلال الاتجاه إلى وقف عمليات النقل والانتداب وتقليص المستحقّات المالية، ومنع الانتداب في عدّة جهات حكومية، وصولاً إلى اقتصار تقديم خرّيجي الحقوق على جهة قضائية واحدة، وإغلاق باب الانتقال مستقبلاً بين الجهات القضائية. كذلك، أدخل السيسي المرأة في مجلس الدولة، عبر تعيين 98 سيّدة دفعة واحدة، نقلاً من هيئات قضائية أخرى وتنفيذاً لقرار رفضه قضاة المجلس منذ تأسيسه. لكن في المقابل، جاءت نسبة المعيّنات من بين شقيقات وبنات وزوجات القضاة لتفوق الـ60 في المئة، في وقت سيُسمح فيه، للمرّة الأولى، لخرّيجات الحقوق بتقديم أوراقهنّ للالتحاق بمجلس الدولة عند فتح باب التعيين، العام المقبل.

> جمعت الاستخبارات، في الشهر الجاري، مختلف رؤساء الهيئات القضائية أمام الرئيس

فضلاً عن ذلك، لم يُعد يكفي أن يكون سجلّ المتقدّمين للالتحاق نظيفاً من المخالفات الجنائية، ولكن أيضاً أن يكون ولاؤهم للرئيس، وأن يزكّوا سياساته و«إنجازاته»، وهو سؤال تكرّر للعديد من المتقدّمين في المقابلات التي يتمّ إجراؤها للخرّيجين الجدد. ومع أن رؤساء الهيئات القضائية لن يحصلوا على أيّ مكتسبات، بعد مغادرتهم مناصبهم، سوى بعض الامتيازات المالية الإضافية لحصولهم على تكريمات رئاسية، ولكن يبقى المهمّ الأكبر لدى غالبيتهم هو أن يستمرّوا في توريث أبنائهم المناصب داخل مختلف الهيئات. ويدفعهم ذلك إلى تنفيذ التعليمات من دون نقاش، فالرئيس لا يتدخّل في الأحكام، ولكنه يوجّه القضاء في اتجاه إصدارها، بشكل غير مباشر، بما يخدم سياساته.

ما يرغب به الجنرال هو استكمال السيطرة عبر إجبار المجلس على الاجتماع كلّ ثلاثة أشهر (أ ف ب)

استراحة

كلمات متقاطعة 3862

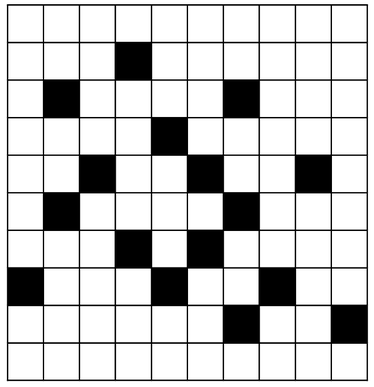

أفقيا

1- مغنية وممثلة لبنانية – 2- سلسلة جبال تركية – مدينة تاريخية في الإمارات – 3- غزال أبيض – ماركة حليب مجفف – 4- محبّ الذات – مقياس فارسي قديم – 5- حرف جزم – نوتة موسيقية – عاصفة بحرية – 6- نعم – يروي المزروعات – 7- تلعب ونمرح – قدر وشرف وعلو منزلة – 8- اضطرم وتلهّب – حزّ وهزّ – مجرم غرف بالسفاح في بريطانيا – 9- مقياس مساحة – من الأشجار الأفريقية – 10- وزير خارجية أميركي راحل في عهد الرئيس رونالد ريغان

عمودياً

1- أكبر ملعب رياضي في العالم – 2- خلاف يسار – شديد الصوت – 3- مدينة فلسطينية – ضعف ورقّ – 4- عملة آسيوية – وشى – ورك – 5- ماركة سيارات – من مشتقات الحليب – 6- عكسها يحمله كل إنسان – شرح الدرس – أمر فظيع – 7- خبث ودجل – ظلم شديد – 8- نهر في فرنسا – يواجه العدو ويقاتله – 9- إله – عمر الإنسان – ماركة آلات كهربائية وموسيقية – 10- عاصمة كوستاريكا – هاج الدم

حلول الشبكة السابقة

أفقيا

1- الجرمانيون – 2- ربح – قرقماز – 3- الدوما – 4- كوب – ممر – 5- أكل – ناس – رق – 6- لايدي – وز – 7- اندبانا – يا – 8- وب – سرحان – 9- مد – وشم – سقي – 10- راغب علامة

عمودياً

1- ارز – الأحمر – 2- لب – دكان – دا – 3- جحا – ليدو – 4- لك – دبيوب – 5- مقدونيا – شع – 6- اروبا – نسمل – 7- نقم – سوار – 8- يمام – حسم – 9- وا – مر – ياقة – 10- نزار قباني

إعداد نعوم مسعود

sudoku 3862

8	6	1			5			9
7			4	9	1			6
	4					7	5	
5	1		6	4				
	9						4	
				2	8		9	3
	8	4						
			1	5	7			4
1			3			9	6	2

شروط اللعبة

هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أوعمودي.

حل الشبكة 3861

1	7	8	4	3	6	5	9	2
5	3	4	7	2	9	8	1	6
2	9	6	5	1	8	4	3	7
3	6	1	9	8	4	7	2	5
7	8	5	1	6	2	9	4	3
4	2	9	3	7	5	6	8	1
6	1	7	8	9	3	2	5	4
9	4	2	6	5	1	3	7	8
8	5	3	2	4	7	1	6	9

مشاهير 3862

11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1

رئيس جمهورية شيشانية (1944-1996) عاش طفولته القاسية مهجراً في أرياف سيبيريا القاحلة. قتل بصاروخ موجه أطلقته قاذفة روسية من نوع سوخوي

9+5+8+2+10 = يعالج المريض ■ 7+6+3+4 = أزمنة طويلة ■ 11+1 = غير ناضج

حل الشبكة الماضية: **كاميليا بالركر**

وفيات

بمناسبة مرور أربعين يوماً
على وفاة المأسوف عليه المرحوم

يوسف إبراهيم كنعان

يقام قداس وجناز لراحة نفسه
يوم السبت الواقع فيه ١٦ تشرين الأول ٢٠٢١
في تمام الساعة السادسة مساءً
في كنيسة مار سركيس وباخوس ، جديدة المتن.
عائلة الفقيد وأنسباؤهم يدعون الأهل والأصدقاء
لمشاركتهم الصلاة لراحة نفسه.
الرجاء اعتبار هذه النشرة كدعوة خاصة.

إعلانات رسمية

إعلان

تعلن كهرباء لبنان بأن مهلة تقديم العروض لتأهيل جوربتي المصاعد في المجموعة الاولى والثانية واعمال تصليح قاعدة الباطون التابعة لمحرك مروحة الهواء الاساسية جهة جونيه في معمل الذوق الحراري، موضوع استدراج العروض رقم ث4د/3655 تاريخ 2021/7/9، قد مددت لغاية يوم الجمعة 2021/11/5 عند نهاية الدوام الرسمي الساعة 11:00 قبل الظهر.
يمكن للراغبين في الاشتراك باستدراج العروض المذكور اعلاه الحصول على نسخة من دفتر الشروط من مصلحة الديوان - امانة السر - في الغرفة المسبقة الصنع رقم 38 المستحدثة في الجهة الغربية من المبنى المركزي لمؤسسة كهرباء لبنان ضمن حرمه، مبنى كهرباء لبنان – طريق النهر وذلك لقاء مبلغ قدره 50/000 ل.ل.
علماً بأن العروض التي سبق وتقدم بها بعض الموردين لا تزال سارية المفعول ومن الممكن في مطلق الاحوال تقديم عروض جديدة أفضل للمؤسسة.
تسلم العروض باليد الى أمانة سر كهرباء لبنان - في الغرفة المسبقة الصنع رقم 38 المستحدثة في الجهة الغربية من المبنى المركزي لمؤسسة كهرباء لبنان ضمن حرمه.
بيروت في 2021/10/12
بتفويض من المدير العام
مدير الشؤون المشتركة بالإنابة
المهندس واصف حنيني
التكليف 854

إعلان

تعلن كهرباء لبنان بأن مهلة تقديم العروض لاستئجار مركز جديد لدائرة النبطية، موضوع استدراج العروض رقم ث4د/1996 تاريخ 2021/5/11، قد مددت لغاية يوم الجمعة 2021/11/5 عند نهاية الدوام الرسمي الساعة 11:00 قبل الظهر.
يمكن للراغبين في الاشتراك باستدراج العروض المذكور اعلاه الحصول على نسخة من دفتر الشروط من مصلحة الديوان - امانة السر - في الغرفة المسبقة الصنع رقم 38 المستحدثة في الجهة الغربية من المبنى المركزي لمؤسسة كهرباء لبنان ضمن حرمه، مبنى كهرباء لبنان – طريق النهر وذلك لقاء مبلغ قدره 20/000 ل.ل.
علماً بأن العروض التي سبق وتقدم بها بعض الموردين لا تزال سارية المفعول ومن الممكن في مطلق الاحوال تقديم عروض جديدة أفضل للمؤسسة.
تسلم العروض باليد الى أمانة سر كهرباء لبنان - في الغرفة المسبقة الصنع رقم 38 المستحدثة في الجهة الغربية من المبنى المركزي لمؤسسة كهرباء لبنان ضمن حرمه.
بيروت في 2021/10/12
بتفويض من المدير العام
مدير الشؤون المشتركة بالإنابة
المهندس واصف حنيني
التكليف 855

إعلان

تعلن كهرباء لبنان بأن مهلة تقديم العروض لشراء آلات تكرير زيوت محولات القدرة في محطات التحويل الرئيسية، موضوع استدراج العروض رقم ث4د/4475 تاريخ 2021/9/3، قد مددت لغاية يوم الجمعة 2021/11/5 عند نهاية الدوام الرسمي الساعة 11:00 قبل الظهر.
يمكن للراغبين في الاشتراك باستدراج العروض المذكور اعلاه الحصول على نسخة من دفتر الشروط من مصلحة الديوان - امانة السر - في الغرفة المسبقة الصنع رقم 38 المستحدثة في الجهة الغربية من المبنى المركزي لمؤسسة كهرباء لبنان ضمن حرمه، مبنى كهرباء لبنان – طريق النهر وذلك لقاء مبلغ قدره 50/000 ل.ل.
علماً بأن العروض التي سبق وتقدم بها بعض الموردين لا تزال سارية المفعول ومن الممكن في مطلق الاحوال تقديم عروض جديدة أفضل للمؤسسة.
تسلم العروض باليد الى أمانة سر كهرباء لبنان - في الغرفة المسبقة الصنع رقم 38 المستحدثة في الجهة الغربية من المبنى المركزي لمؤسسة كهرباء لبنان ضمن حرمه.
بيروت في 2021/10/12
بتفويض من المدير العام
مدير الشؤون المشتركة بالإنابة
المهندس واصف حنيني
التكليف 853

الأخبار
al-akhbar
السبت 16 تشرين الأول 2021 العدد 4465

صورة وخبر

آن أوان قطاف البلح في لبنان: الزغلولي وبنت العيش والسماني والحياني والبارحي. لكن الانهيار الاقتصادي يضغط على المزارعين. يشكو أبو عامر الصوص (صيدا ــ جنوب لبنان) من أنّ تكاليف زراعة وقطاف البلح ارتفعت 15 ضعفاً بينما لم يرتفع سعر المبيع في السوق سوى ثلاث مرّات فقط. ينتج لبنان نحو 400 طن من البلح لا تمثّل أكثر من 10 في المئة من الاستهلاك المحلي. ينفرد العمّال المصريون في إتقان عملية القطاف مع ما يرافقها من مخاطر السقوط من أعالي الأشجار التي يزيد طول بعضها عن ثلاثين متراً. حُفاة مربوطون بحبل متين، سلاحهم شفرة حادة لقص قطوف البلح وتقليم السعف. (علي حشيشو)

آرثر ساتيان والفرقة: الجاز أولاً وأخيراً

يوم الخميس المقبل، يُحيي آرثر ساتيان (الصورة) حفلة في «أونوماتوبيا ـ الملتقى الموسيقي» (الأشرفية) مخصّصة لمحبّي الجاز. يرافق عازف الجاز اللبناني ـ الأرمني الشهير في الموعد المرتقب ثلاثة فنانين، هم: ريما بو عون (غناء) وإلياس معلّم (ساكسوفون) وفؤاد عفرا (درامز). يُعدّ ساتيان من أشهر العازفين في مجاله، وإلى جانب إنجازاته المهنية المنوّعة يدرّس البيانو الكلاسيكي في الكونسرفتوار منذ عام 1998. وكما بات معلوماً، يعود ريع هذه الحفلة لدعم برنامج «أونوماتوبيا» لتطوير المهارات الموسيقية.

حفلة رباعي آرثر ساتيان: الخميس 21 تشرين الأوّل (أكتوبر) الحالي ـ الساعة السابعة والنصف مساءً ـ «أونوماتوبيا ـ الملتقى الموسيقي» (السيوفي ـ الأشرفية). الدخول مجاني. للاستعلام: 01/398986

ارتجالات «شهبا»... ليالي الأُنس في الحمرا

في سياق المواعيد الفنية التي يحرص على تنظيمها باستمرار، يقدّم «مترو المدينة» (الحمرا ـ بيروت) سهرة بعنوان «ليالي الأُنس في بيروت» في 28 تشرين الأوّل (أكتوبر) الحالي. تُحيي الأمسية «فرقة شهبا لإحياء التراث»، على أن يكون برنامجها منوّعاً بين التراث الحلبي والموسيقى المصرية التي يعرفها الجمهور جيّداً، بالإضافة إلى ارتجالات ومؤلّفات خاصة بالفرقة. تتألّف الأخيرة من مجموعة من العازفين، هم: محمد نحّاس (قانون)، محمد خير نحاس (الصورة ـ ناي)، علي عبدو (تشيللو) وإبراهيم سكري (إيقاع).

حفلة «ليالي الأُنس في بيروت»: الخميس 28 تشرين الأوّل ـ الساعة التاسعة والنصف مساءً ـ «مترو المدينة» (الحمرا ـ بيروت). للاستعلام: 76/309363

الأدب العربي الحديث على محكّ الترجمة

ينظّم «مركز دراسات الشرق الأوسط» في «جامعة ديوك» الأميركية يوم الجمعة المقبل لقاءً إلكترونياً باللغة الإنكليزية بعنوان «الأدب العربي في الترجمة». سيحاول النشاط الغوص في واقع الأدب العربي الحديث في الترجمة. بحسب المنظّمين، لترجمة النصوص العربية تاريخ معقّد مع تحفّظ الناشرين على نشر الترجمات، بالإضافة إلى القيود المرتبطة بمواضيع السياسة والجنس، فضلاً عن صعوبات متعلّقة بوضع الأدب العربي في الأدب العالمي الشامل. ما الذي تتم ترجمته ولماذا؟ كيف يقرأ الجمهور النصوص المترجمة؟ هل تقدّم هذه الترجمات نظرة وفية للمجتمع العربي وثقافته؟ لماذا تتميّز الرواية عن أنواع الأدب الأخرى؟ هل هناك تفضيل للروايات العلمانية على النصوص الدينية؟ ما هي ديناميكية القوة والعلاقة بين هذه الفروع المختلفة؟ سيحاول كلّ من ديما أيوب (جامعة ميدلبوري) وألكسندرا شريتخ (جامعة Tufts) وميشيل هارتمان (جامعة مكغيل) الإجابة عن هذه الأسئلة وغيرها.

ندوة «الأدب العربي في الترجمة»: الجمعة 22 تشرين الأوّل (أكتوبر) الحالي ـ الساعة السادسة مساءً بتوقيت بيروت ـ للاستعلام: صفحة «مركز دراسات الشرق الأوسط» في «جامعة ديوك» على فايسبوك (الرابط على موقعنا)

متحف سرسق: الصوت الذي يبقى

يحتضن «متحف سرسق» يوم الخميس المقبل عرضاً صوتياً حيّاً بعنوان «الصوت الذي يبقى» مع هاشم وكارول (الصورة) أوهير. من خلال الشعر والموسيقى والتصميم الصوتي، يستكشف العمل «ما تبقّى من أصوات بيروت وأهلها بكل ثقل وخفّة... ويفكّران في إمكانية إنشاء خيارات صوتية جديدة يمكن للمستمعين الاختيار من بينها لأخذها إلى المنزل»، وفق النص التعريفي الوارد على صفحة النشاط الفيسبوكية. يندرج «الصوت الذي يبقى» في سياق النسخة الأولى من برنامج Power in the Collective الذي أطلقه المتحف البيروتي تشديداً على أهمية «المجموعات والتجمّعات في تشكيل وإنتاج المعرفة الموضوعية نظرياً وعلمياً».

«الصوت الذي يبقى»: الخميس 21 تشرين الأوّل (أكتوبر) المقبل ـ الساعة السابعة مساءً ـ «متحف سرسق» (الأشرفية). للاستعلام: 01/202001

الأخبار
al-akhbar

السبت 16 تشرين الأول 2021
العدد 4465 السنة السادسة عشرة
Samedi 16 Octobre 2021 nº 4465 16ème année

كلمات

ملحق
أسبوعي

www.al-akhbar.com

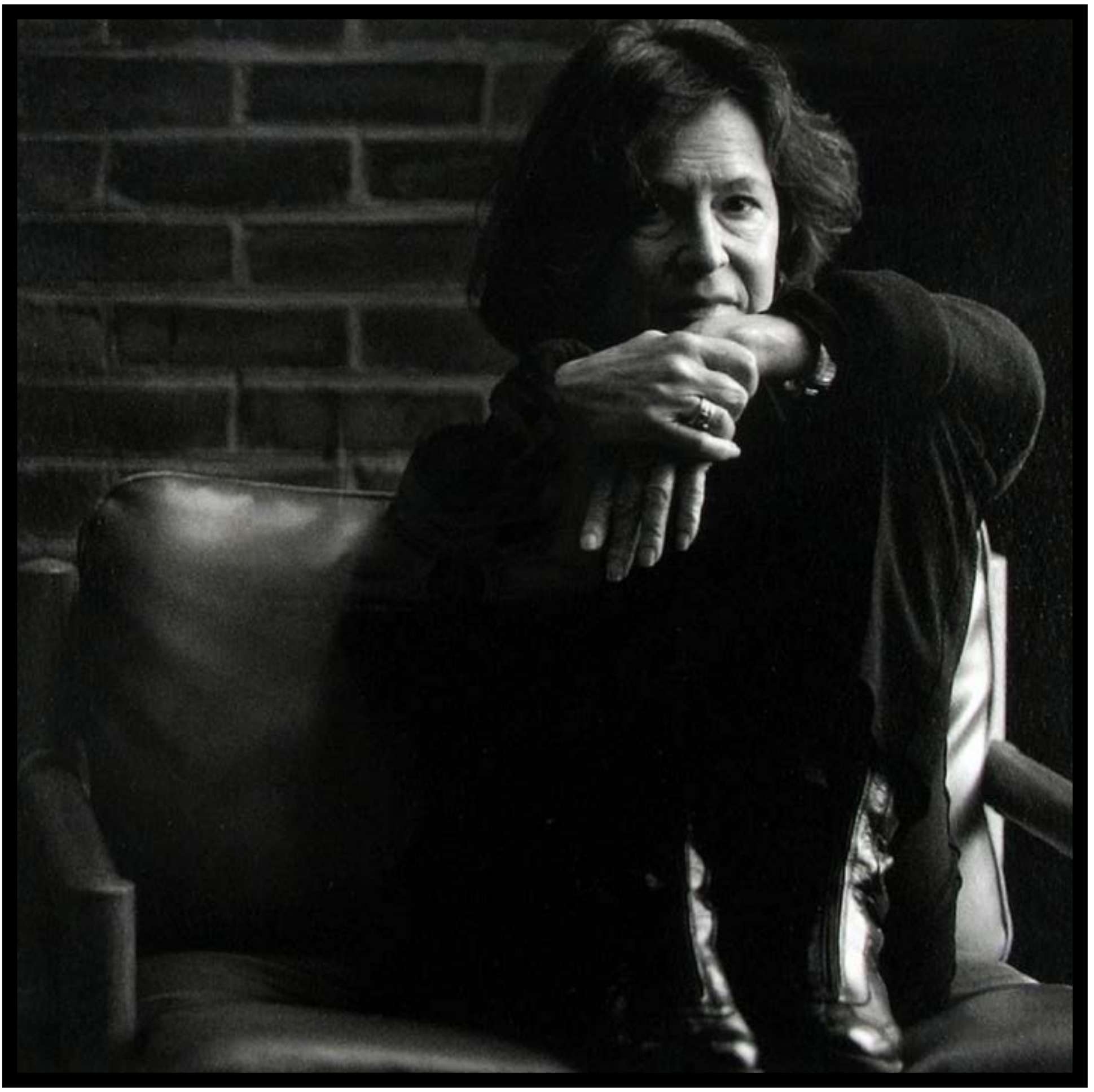

لويز غلوك
توغل في الظلمة

يأتي صدور المجموعة الشعرية الجديدة للويز غلوك (1943)، كحدث شعري استثنائي، إذ إنه الكتاب الأوّل منذ نيلها جائزة «نوبل للآداب» العام الماضي. وبذلك يُضاف الكتاب الجديد الذي سيُنشر قريباً بعنوان Winter Recipes From the Collective إلى أعمال الشاعرة الأميركية الـ 12، كان قد صدر آخرها سنة 2014 بعنوان Faithful and Virtuous Night. وكلما أضيف عمل إلى تجربة غلوك الشعرية، كلّما توسّعت رقعة أساليبها البلاغية بتداخل أصواتها ومرجعيّاتها الفلسفية والأسطورية، وقصصها العائلية. كتبت غلوك بالأصوات الخفرة لفتيات ونساء في بحثهن عن يقين في عالم صنع يقينه من الحقائق القاتمة. هكذا تنقّلت قصائدها بين الغنائية الأسطورية، والسيرة الذاتية والكوميديا، وهي تحاول تقطيب الحياة في منتصف العمر. هناك ذلك النفس الخافت والتأملي في العودة إلى الطفولة، جاعلة من العلاقة بوالدتها، وخسارة أفراد من الأسرة، ملاحم عائلية تكشف بدقّة فجّة عن الحقائق، كما حين تصنع «من خشب الصنوبر وخشب التفاح» محرقة جنائزية صغيرة لانقضاء الزواج وموت العلاقة. في كتابها الجديد الذي ستصدره دار Carcanet البريطانية، تواصل غلوك الإيغال بشجاعة في الظلام. ثمّة جوقة تنطق بالشعر، لكن بأصوات بشرية طيفية وعتيقة. من خلال 15 قصيدة، تشكّل المجموعة ما يشبه موسيقى الحجرة، لكن كل قصيدة منها تحاول أن تجعل من الآلات المنفردة نفسها مسموعة، كما جاء في وصف الكتاب الذي يتنقّل بين ثيمات عدّة مثل الشيخوخة، وجواز السفر المهجور، ومكونات شطيرة الشتاء، وموت الأخت، وحضور الشمس التي لا تقاس أشعّتها إلا بالظلمة التي تلفّها.

حوار

كتاب جديد يستدعي تاريخ الدار البيضاء بخيباته وانكساراته

أحمد المديني: الرواية فن الرشد الأدبي

ينتمي الروائي والناقد المغربي أحمد المديني إلى قلّة من الكتّاب المغاربة الذين ما زالت تحرّكهم هواجس البحث والكتابة والإبداع بعد الألم الذي رافق جيل السبعينيات داخل المشهد الثقافي المغربي. ثقافة كبيرة يستشعرها القارئ للمُنجز الأدبي لدى أحمد المديني، بالرغم من تنوّع الأجناس الأدبية بين الشعر والقصة والرواية والنقد وأدب الرحلة، التي يُقيم المديني في تخومها فكراً وممارسة. فإنّ كتاباته القصصيّة والروائية والنقدية تظلّ خاضعة في الأساس لنسقٍ حداثي، وتعمل على بناء عوالمها المعرفية في ذهن القارئ. كتابات المديني الروائية بقدر ما تحفر في الواقع الراهن، ترنو بشكلٍ مُضمر إلى الإقامة في تخوم التاريخ. هذا السرّ المعرفي لدى المديني غالبٌ على منجزه الأدبي. وهو ما يُطالعنا به في روايته الجديدة «رجال الدار البيضاء ـ مرس السلطان» (المركز الثقافي للكتاب). هنا تحضر الكتابة بوصفها قناعاً تخييلياً. يحضر التاريخ السياسي للدار البيضاء بثقله وآلامه وخيباته وافراحه وانكساراته لإدانة الواقع وتوثيق زمن السبعينيات بمآسيه وأحلامه وجُرحه الذي لم يندمل. لكنّ الأجمل في كتاب المديني أنّه لم يختفِ في جبّ شخصياته بحوارات مبهمة وباردة. إنّما ظلّ يُسمّي الأسماء باسمائها من خلال معلومات ووثائق حقيقية يستعيد عبرها كبار الثقافة والسياسة الذين صنعوا بأجسادهم تاريخ الدار البيضاء. طريقة اشتغال المديني في هذه الرواية يفوق الدور التقليدي الذي يلعبه الروائي. فهو يمزج الواقع بالذاكرة والتاريخ بالمتخيّل. ما جعل كتابته حُرقّية ذات ميسم تاريخيّ مُتحوّل بين الماضي والحاضر والمستقبل. عن الإرهاصات الأولى لتبلور مشروعه الأدبي والنقدي داخل الثقافة المغربيّة وأزمة النصّ الشعري وتحوّلات المشهد الأدبي العربي. التقينا الروائي والأكاديمي المغربي

تقديم وحوار **أشرف الحساني**

■ تكتب في الشعر والقصّة والرواية والنقد الأدبي وأدب الرحلة والمقالة الثقافيّة بنفس الشغف الذي يقودك دوماً للدخول في عوالم الكتابة. كيف اهتديت وجدانياً إلى السفر في كل هذه المجالات الثقافيّة دفعة واحدة منذ السبعينيات إلى اليوم؟ وهل يستطيع المُبدع أنْ يخلص لجنس أدبيّ أو معرفي واحد؟

ـ الكاتب هو نصوصه بالدرجة الأولى، هي المرجع لقراءة تجربته، واستيفاء حقه في الفهم والتقويم وتذوّق الكتابة، بينما الحديث الثاني، الدرس والنقد الأدبي (الميتا . خطاب) فهو إما يقع على هامشها أو مستقل، مهما نظّر الكاتب وحلّل من نصوص وأوّل، فإن الإبداع أو ما يقوم مقامه، لغته وبلاغته وأسلوبه وإيقاعه، متنه كله، معناه ودلالته حين يستخلصان منه هو المعوّل عليه، وسواه بالنسبة إليه إضافة أو يُستأنس به. لذلك، أفرّق بدقة بين المتنين والمعالجتين، وبحكم تكويني أجدني مهيأ لهذا، مهتدياً بتفريق البلغاء وتمييزهم في العربية بوضع الكلام على مقتضى الحال، وأن لكل مقام مقالاً. لقد بدأت كاتب قصة قصيرة أولاً، ثم درجت إلى الرواية، وبقيت أراوح بينهما. مع السرد القصير لا أختار، ماذته تقتحمك، تصادفها عند منعطف طريق أو في سوق وإما تجلبها من ذكرى منسية، وعليك أن تسردها وتُسرّدها، تخضعها للحبك والتركيب وتضع فيها الشيء الذي لا بد منه ويجب أن يكون مكنوناً ويُستشفّ ويوحي. كلّه بأدوات، إنها صنعة، والفن يشكّل الموهبة، فيصقل معدنها لتكون. أما الرواية، فليست الأطول من هذا السرد وإن اقتضت الكم، اللفظي والتمثيلي والمدى الزمني، تُبنى بِناءً كلياً من واقع حاف أو حقيقة دامغة، أو من المخيلة، والرواية الفعلية مجملاً تخييلٌ، وإلا فهي تقريرٌ يَنتحل صفةَ تكاليف وصبوات الحياة تشكل ثالوثاً يتدفق في مجرى واحد: الكتابة الحياة. يحضرني هنا قول لبورخيس، كيف أنّ الناس يقسمون الحياة إلى قسمين، الحقيقي من ناحية، والحلم والخيالي من ناحية ثانية. الأسفار، مثلاً، والأدب. يقول بورخيس إنه يخالف هذا التقسيم، فالحياة كلّ، بل ربما من غير المستحيل أنّ هذا الكل ليس في الأخير سوى حلم.

■ تلعب الطفولة دوراً كبيراً في شحذ ذهن الكاتب بجملة أحاسيس وصور وأفكار ومشاعر وذكريات، تسعفه حتماً في إطلاق العنان لمُخيّلته من خلال العودة إلى جذور حياته الأولى في علاقتها بالعائلة والمكان ونمط العيش داخلهما. أحمد الديني إلى أيّ حد أثرت الطفولة في مشروعك القصصي والروائي؟

ـ تأخرت استعادتي لطفولتي إلى مرحلة عنفوان شبابي، بعدما انتقلت إلى باريس، وتباعدتُ عن مرابع صباي. طفقتُ تنهادى في أحلامي وتُباغتني اطيافاً وصوراً متناثرة وحوادث، بين الإهل والرفقة والمدرسة. ومع كل حلم تُنسَج بينها خيوطٌ مرئية بوحها خياط اللاوعي ليعطيها معنى ما. ثم انتبهت أنني عشت الدرجة الصفر من الطفولة، لأني انفصلت مبكراً عن أهلي، فبدلاً من بيتنا في الدار البيضاء، «نفاني» والدي صغيراً إلى مدينة فاس، وقتها العاصمة العلمية. هو خريج القرويين وعنده هي محج المعرفة، فتولّيت نفسي بنفسي، صيغة أخرى لمقولة سقراط، لكي أتعلم واتفوق وأكون كبيراً وأنا صغير، من هنا وأنا في وسط اجتماعي غير مألوف لدي، ثقافة ومعيشاً وتقاليد، ففاس حضارة مختلفة. وسط عشت فيه وخارجه، أي في عز الوحدة الذي شرعت أبنيه لبنة، لبنة، أسكنه غالباً ليلاً مع مشاعر اغتراب وحنين وفقد ملتبسة، هي ما سينمو رويداً رويداً أغراساً سيُثمر بعد عودتي إلى فاس طالباً جامعياً أولى نصوصي، ثم لاحقاً سأكتب روايتي «فاس لو عادت ليه» (2003) فيها للطفولة أكبر الحضور.

■ المكان جزء لا يتجزأ من طفولة المرء، بحيث يحضر دوماً في سيرة الكاتب وكأنّه يحمله معه أينما ذهب. إنّه أشبه بالرائحة التي تنطبع في الذاكرة وتكاد لا تُفارقها، رغم مرور السنوات وتعب الجسد، بطريقة تُوَجِّج معها صور المكان الأوّل لدرجة أنّه يشغل ناصية كبيرة من حاضر أيّ مبدع. كيف تفهم علاقة الكاتب بالمكان الأوّل وصيرورة حضوره على مستوى الكتابة، انطلاقاً من مشروعك الروائي، خاصّة أنّ فعل الكتابة لديك يُمثّل الآن حوالي 50 سنة من الكتابة الإبداعية داخل المغرب؟

ـ الرواية عندي بداهة، مكان بما أنها نص مستقل ومعالم وصفات، وهي تُبنى بمعمار وهندسة. هي مكان، إذ تحوي فضاءً يتفرّع ويتعدد امكنةً وأفضية. ما لا يوجد ويستوعبه مكانٌ هُلام وتهويمات؛ والرواية هي الرواية، تحتفي بأحداث ومصائر خصوصية ضمن الجماعة ومن قلب رؤيتها وفي الوقت ناطقة بصوتها ومتفردة بمشاعرها. لذلك الرواية هي صوت الفرد الجمعي والصوت الموضوعي ونثر العلاقات العامة. وإذن، فأنا أراوح بين الإبداع (=نص الذات) والبحث والنقد الأدبيين، ولا أرى غضاضة في الجمع بين الاثنين، هما ثمرة التقاء الاستعداد الفطري (=الموهبة) مع التكوين الأكاديمي ومثابرة القراءة، أراهما يرفدان بعضهما. عندي، يحتاج الكاتب لزاد ثقافي مستمرّ كلما تسلّح به استنارت بصيرته وقدرته على فهم النصوص، وقبل ذلك تشذيب وحذق كتابته. لقد تعلّمت كيف أغذّي هذا بتلك ولا غنى لي عن الاثنين، في جوهرهما ومعهما فن محاكاة الواقع والكائن يُجسّدان: أولُ فعل التجسيد أن تضع الكائن في مكان، ومعها الإنسان، وهو في الرواية ليس نفخة إلهية أسطورية كما في الملحمة، ولا ميتافيزيقا رمزياً كما تستحضره القصيدة، بل من لحم ودم وبسيرة شخصية وفي تفاعل مع واقع مسرحُه جغرافياً واقع واضح السمات ناطق بعلاماته. الرواية، منذ نشأتها واستتبابها، جنس أدبي، هي تاريخ المكان التجاري والصناعي والانتقالات والفضاءات الطبقية الحاضنة للسلوك المتحول والطباع والأخلاق والذهنيات والسيكولوجيات الخ. باختصار وبالاصطلاح الخلدوني هي فن المعمار البشري للزمن الحديث. إنّ ما يصطلح عليه بالسرد التخييلي fiction قاعدتُه الأولى المكان، والزمان، والإنسان، بدون ترتيب. وأداة تنزيل القاعدة في نص روائي يستحق تجنيسه هي التجسيد بفاعلية الوصف ونشاط العين، بإحلال الشيء المادي l'objet المتحقق، لا المجازي الاستعاري، مجاله القصيدة تستخدم هذه العناصر وذروتها الرواية. الروايات الإيقوية ذات البعد الفلسفي والأخلاقية قوامها هذه المكونات أيضاً («لمسخ» لكافكا؛ «مزرعة الحيوانات» لأورويل؛ «أولاد حارتنا» لنجيب محفوظ، مثالاً) مع تفاوت في توظيف توظيفها بين عماد أو سند أو إطار عام. وهل ثمة أبلغ من «مدن الملح» لعبد الرحمن منيف تمثيلاً لمركزية المكان ودلالته في حد ذاته موضوعاً وتاريخاً وتحولاً وإيحاءات ودلالات.

ـ أنا لم أتوقف عند الشعر، إنما توقفت عن نشره حتى لا يضيع في الزحام والركام واللغو. انصرفت في السنوات الأخيرة إلى التركيز على الكتابة السردية رواية وقصصاً قصيرة لموافقتها لنمط من العيش والإحساس والثقافة والوعي، وليس بسبب تهافت متاخر للناس عليها. كتابة الرواية تحتاج إلى خبرة كبيرة في الحياة ومعرفة الإنسان، وعابرين درويها والعربة، منسوجة بهم حكايا العمر أفراحاً وأوجاعاً، وطوراً متشابكة متعاضلة. انتقلت من الشعر المغامر في «زمن بين الولادة والحلم» (1976) و«وردة للوقت المغربي» (1985) إلى فهم أن الرواية مضمارها هو الواقع بتشكلاته، ولي بعد ذلك أن أواصل حرث استيهاماتي في حقوله، فكانت «مدينة براقش» (1998) بين أحضان الطفولة وأهوال الدار البيضاء المدينة الثائر، صغت منها قصة واقعية وأسطورة، وبنيت مدينة جديدة باللغة والسرد بالرائحة والحقائق والاستعارات. يشغل المكان كذلك بؤرة «فاس لو عادت إليه»، وهلم جرا في عشرات القصص القصيرة من مجاميعي، وانتقالاً إلى كتاباتي الرحلية حيث تنقلت بين قارات ومدن أحللتها البطولة وصفاً وسرداً ومساءلة لذاتي ومعنى الوجود... وانتهاء أخيراً إلى روايتي «رجال الدار البيضاء» التي أفردت لها سؤالاً خاصاً في ما يلحق.

■ صدر لك حوالى 4 دواوين شعرية، لكنّك توقفت عن كتابة الشعر، مع أنّه حاضر في رواياتك وقصصك، بل يشتغل كمُحرّك خفيّ لجماليات اللغة ويجعل النصّ النثري ينفصل عن واقعيته صوب آفاق تجريدية وحلمية. هل تذويب الشعري في العمل النثري، هو الذي جعلك تتوقّف زمنياً عن كتابته؟ أم أنّ الحظوة التي باتت تتمتع بها الرواية في العالم العربي، قادتك إلى الاهتمام بهذا الجنس دون غيره من الأجناس الأخرى؟

ـ أنا لم أتوقف عن الشعر، إنما توقفت عن نشره حتى لا يضيع في الزحام والركام واللغو. انصرفت في السنوات الأخيرة إلى التركيز على الكتابة السردية رواية وقصصاً قصيرة لموافقتها لنمط من العيش والإحساس والثقافة والوعي، وليس بسبب تهافت متاخر للناس عليها. كتابة الرواية تحتاج إلى خبرة كبيرة في الحياة ومعرفة الإنسان، وعابرين درويها والعربة، منسوجة بهم حكايا العمر أفراحاً وأوجاعاً، وطوراً متشابكة متعاضلة. انتقلت من التجريب المغامر في «زمن بين الولادة والحلم» (1976) و«وردة للوقت المغربي» (1985) إلى فهم أن الرواية مضمارها هو الواقع بتشكلاته، ولي بعد ذلك أن أواصل حرث استيهاماتي في حقوله، فكانت «مدينة براقش» (1998) بين أحضان الطفولة وأهوال الدار البيضاء المدينة الثائر، صغت منها قصة واقعية وأسطورة، وبنيت مدينة جديدة باللغة والسرد بالرائحة والحقائق والاستعارات. يشغل المكان كذلك بؤرة «فاس لو عادت إليه»، وهلم جرا في عشرات القصص القصيرة من مجاميعي، وانتقالاً إلى كتاباتي الرحلية حيث تنقلت بين قارات ومدن أحللتها البطولة وصفاً وسرداً ومساءلة لذاتي ومعنى الوجود... وانتهاء أخيراً إلى روايتي «رجال الدار البيضاء» التي أفردت لها سؤالاً خاصاً في ما يلحق.

■ يُعلّل بعض الشعراء، في العالم العربي أنّ تخليهم عن الكتابة الشعريّة نابع من رغبة في التجريب الفنيّ القائم على السفر في الأجناس الأدبيّة لفهم مُنطلقاتها وخصائصها وجماليّاتها، مع أنّهم يتسابقون على الجوائز، والدليل أنّهم كلّما تم إقصاء عمل روائيّ لهم من جائزة، يخرجون من قلاعهم ويثورون على اللجان، بل يشنّون في أحيان كثيرة حرباً عليها. أحمد المديني، هل تعتقد أنّ جوائز الرواية في العالم عموماً أسهمت في تطوّر الأدب وظهور أساليب مُختلفة ونصوص متباينة؟ ثم أنّها أسهمت في تكريس نمط سلبيّ لهذا الجنس الذي أضحى كأنّه يُمثّل مركز ثقافتنا المعاصرة؟

ـ لا أخفيك، مللت من محاولة الرد على هذا السؤال، حمّال أوجه، وهو حق يراد به باطل حيناً، والعكس. لذا سأجيبك على مضض. تعلم يا سيدي أن العلماء والمفكرين وأهل القلم من كل فن من عرب ومن عجم، تواقون للشهرة بتفاوت، ومتطلعون للاعتراف بهم وطلب الحظوة في مجتمعاتهم، والجوائز ما يُجازى به عمل فلان فيُعليه ويُكافأ عليه. وتقليد الجائزة حديثٌ جداً في عالمنا العربي، مخصّص للآداب أولاً، ونادراً للفكر والعلم، لأننا خلو منه. وتخصيص الجائزة دليل على رقي أمة وعلوّ كعبها في الثقافة والإبداع وتقدير المنتجات الرمزية، فلا تثريب على أحد في هذا النهج ومقاصده النبيلة اليوم وغداً، بل يُشكر القائمون عليه ويُثابون. وقد توفرت أغلب البلدان العربية بنسب على جوائز إما من وزارات الثقافة أو محافل وجمعيات أهلية متخصصة وخيرية أيضاً. إلى عهد قريب، كانت جائزة الرواية العربية في القاهرة أهم ما يمنح لهذا الفن، وكانت ذات اعتبار تُمنح من صلب منتدى يقام حولها. اظن أن الإشكال أو اللغط حول الجوائز بدأ حين تحولت بعض دول الخليج العربي إلى بيئات ثقافية حاضنة لأنشطة وملتقيات، وبدورها مانحة لجوائز رسمية وعطايا تكريمية، وقد ظهرت مجزية حتى وصلت إلى عشرات الآف الدولارات وخرقت سقف المئتي ألف، فكيف لا تريد أن تدوخ رؤوس الكتاب الفقراء والمعوزين، وتتهافت الأقلام، ويختلط حابل الرواية بنابلها، وتصبح كل محبرة إنشاء ومرصّف خواطر وأخبار معدوداً روائياً بتصنيفات القائمات وتحكيم أعضاء قلة منهم ثقات، وأغلبهم من «العاملين والمؤلفة قلوبهم». أعمال تُقدّر لأنها موضوعة بإحكام واقتدار، وأخرى سقط متاع الأدب تبلغ القدح المعلى بهتاناً هي لربات البيوت. إن الغايات نبيلة من وراء هذه الجوائز، ومن حق أي دولة أن تزيّن بيئتها بمناسبات، ومرحباً بإسهامها في إنعاش الفكر والآداب وتقدير أهل المعرفة والإبداع، إنما أعطِ القوس باريها، ولننظر إلى جوائز الآخرين في أغلبها لجاناً ومترشحين وفائزين لنأخذ العبرة، ثم إن الجائزة قد تقتل عديم موهبة ويُحرم منها جدير بها بطوله الحيف، أوَلم يحرم مارسيل بروست من «الغونكور» بداية باعتراض أندري جيد، وما هي الرواية بدون بروست؟! وختاماً لنحترم أهل الفكر والأدب والعلم بالاستحقاق وإلا فهي مفسدة وأيّ مفسدة.

■ في روايتك «رجال الدار البيضاء»، استعدت فترة هامّة ومُؤسّسة في تاريخ المغرب المعاصر، من خلال ذاكرتها وأمكنتها ورجالاتها. ما الذي تعنيه لك مرحلة السبعينيات في المغرب وإلى أيّ حد استطاع هذا الجيل في نظرك تأسيس مشروع تجديدي وحداثي قادر على موضعة الأدب المغربي في مسار الحداثة الأدبيّة، التي تغزو مخيّلة كُتّابنا من دول أخرى كفرنسا وأميركا؟

ـ من الصعب استعادة تاريخ مشحون بالأحداث والآلام والمآسي في عجالة. يكفي القول إن السبعينيات وما قبلها أيضاً هي أتون الصراعات بين القوى المحافظة والمهيمنة التاريخية والجبهة التقدمية الديمقراطية، شهدت معارك طاحنة بين الطرفين، على الأصعدة كافة، ومنها تحديداً الثقافية. إذ كان على جيلنا أن يرسّخ ثقافة التنوير والتجديد بالمفاهيم والأفكار والمناهج والجدل والنصوص، بالنقاش الفكري والصراع الإيديولوجي والمواجهة الفعلية من بداية حياتي الأدبية منذ مطلع السبعينيات، وهذا من غير أن أسلوّ الشعر بتاتاً، هو حاضر بطريقة ما في نثري، علماً بأني أفرق بين القصيدة والجملة أو التعبير الشعري، ولا أقدامه ينوب عن سرد محكم، بخبر ويعيّن ويصف ويدل، ومن ابتغى غير هذا تراه يهيم في الخواطر والإنشائية الرثة، لذلك الرواية فن الرشد الأدبي.

أحمد المديني: نجاحات المغرب وإخفاقاته على السواء، منبتها وساحتها السبعينيات

ـ في الحقيقة، هملت من محاولة الرد على هذا السؤال، حمّال أوجه، وهو حق يراد به باطل حيناً، والعكس. لذا سأجيبك على مضض. تعلم يا سيدي أن العلماء والمفكرين وأهل القلم من كل فن من عرب ومن عجم، تواقون للشهرة بتفاوت، ومتطلعون للاعتراف بهم وطلب الحظوة في مجتمعاتهم، والجوائز ما يُجازى به عمل فلان فيُعليه ويُكافأ عليه. وتقليد الجائزة حديثٌ جداً في عالمنا العربي، مخصّص للآداب أولاً، ونادراً للفكر والعلم، لأننا خلو منه. وتخصيص الجائزة دليل على رقي أمة وعلوّ كعبها في الثقافة والإبداع وتقدير المنتجات الرمزية، فلا تثريب على أحد في هذا النهج ومقاصده النبيلة اليوم وغداً، بل يُشكر القائمون عليه ويُثابون. وقد توفرت أغلب البلدان العربية بنسب على جوائز إما من وزارات الثقافة أو محافل وجمعيات أهلية متخصصة وخيرية أيضاً. إلى عهد قريب، كانت جائزة الرواية العربية في القاهرة أهم ما يمنح لهذا الفن، وكانت ذات اعتبار تُمنح من صلب منتدى يقام حولها. اظن أن الإشكال أو اللغط حول الجوائز بدأ حين تحولت بعض دول الخليج العربي إلى بيئات ثقافية حاضنة لأنشطة وملتقيات، وبدورها مانحة لجوائز رسمية وعطايا تكريمية، وقد ظهرت مجزية حتى وصلت إلى عشرات الآف الدولارات وخرقت سقف المئتي ألف، فكيف لا تريد أن تدوخ رؤوس الكتاب الفقراء والمعوزين، وتتهافت الأقلام، ويختلط حابل الرواية بنابلها، وتصبح كل محبرة إنشاء ومرصّف خواطر وأخبار معدوداً روائياً بتصنيفات القائمات وتحكيم أعضاء قلة منهم ثقات، وأغلبهم من «العاملين والمؤلفة قلوبهم». أعمال تُقدّر لأنها موضوعة بإحكام واقتدار، وأخرى سقط متاع الأدب تبلغ القدح المعلى بهتاناً هي لربات البيوت. إن الغايات نبيلة من وراء هذه الجوائز، ومن حق أي دولة أن تزيّن بيئتها بمناسبات، ومرحباً بإسهامها في إنعاش الفكر والآداب وتقدير أهل المعرفة والإبداع، إنما أعطِ القوس باريها، ولننظر إلى جوائز الآخرين في أغلبها لجاناً ومترشحين وفائزين لنأخذ العبرة، ثم إن الجائزة قد تقتل عديم موهبة ويُحرم منها جدير بها بطوله الحيف، أوَلم يحرم مارسيل بروست من «الغونكور» بداية باعتراض أندري جيد، وما هي الرواية بدون بروست؟! وختاماً لنحترم أهل الفكر والأدب والعلم بالاستحقاق وإلا فهي مفسدة وأيّ مفسدة.

■ في روايتك «رجال الدار البيضاء»، استعدت فترة هامّة ومُؤسّسة في تاريخ المغرب المعاصر، من خلال ذاكرتها وأمكنتها ورجالاتها. ما الذي تعنيه لك مرحلة السبعينيات في المغرب وإلى أيّ حد استطاع هذا الجيل في نظرك تأسيس مشروع تجديدي وحداثي قادر على موضعة الأدب المغربي في مسار الحداثة الأدبيّة، التي تغزو مخيّلة كُتّابنا من دول أخرى كفرنسا وأميركا؟

ـ أتحفّظ على مصطلح «الجيل». إنه اختزالي وغير دقيق. فلو حسبته زمنياً، فهو قصير جداً أو لا يسمح بنشوء تجربة ونضجها واكتمالها. ولو اتخذته وعاء يستوعب نصوص لفيف من القصاصين أو الشعراء تجمع بينهم حساسيات وخصائص مشتركة بهذا القدر أو ذاك، فإنما هو تصنيف عام. أما أنهم نشروا وعرفوا في حقبة واحدة، فهذا أيضاً ليس مسوغاً للتسمية. أنت اخترت الأسماء المذكورة وحدها، وأراك أقصيت، لأقل غفلت عن الأهم والأرسخ في السبعينيات: أحمد المجاطي، محمد الخمار الكنوني، عبد الكريم الطبال، إدريس الملياني، وغيرهم، هؤلاء هم السبعينيون الحقيقيون، أما من ذكرت وسواهم وبينهم تلاميذي، أنا أدرى ببداياتهم، فكانوا ناشئين ويتمرّن أغلبُهم على قصيدة النثر بعد تعذر قصيدة التفعيلة التي أرساها السابقون عليهم ووصلوها، وثمارهم ستينع بعد ذلك. زريقة، ظهر في نشأة متمردة مختلفاً عنهم، وراجع، المأسوف عليه رحل باكراً ومشروعه يتأسس، ومحمد بنيس يتعلم منه ويجواره وواصل صوته الخاص، والمحك هو النص في النهاية لا النوايا والبلاغات الشعرية. منذ الثمانينيات حدث عندنا ابتلاء بالتنظير للشعر أكثر من العكوف على إبداعه، وهو تقليد أعمى لأدونيس، الذي كان قد أسس أغلب منجزه الشعري بثبات وحقّ له أن ينظر له ويؤطره بالفهم. أما عن السياسة، فلا أعرف من هم النقاد الذين قالوا إن هذا الجيل المزعوم مصاب بـ«حمّى السياسة». يستحسن القول إنه شأنُ كل الأدباء المغاربة، كُتب ملتزماً وممتلئاً بقيم الدفاع عن الديمقراطية والكرامة والحريات مناهضاً للظلم والاستبداد، والقصيدة لا تستخدم القاموس الإيديولوجي ولكن تستوحي المعنى وترسمه بالاستعارات إن هي أفلحت وإلا فهي بيان، ومن هذا النوع وُجد كثير بأسفاف نثري وبلاغة نضالية، يتمسحون بأدونيس بينما هو في مجرة أخرى وإما يجادل في قضايا ثقافية وإنسانية. والغالب هو منزع ضعاف الموهبة الشعرية، بينما واصل محمد بن طلحة وريثاً شرعياً للمجاطي الشجنّ والحياة، والالتزامُ عنده ضميمة متألقة لقصيدة تفعيلة ونثر معاً تشيّد البناء، تستخدم نقدياً مصطلح المعمار، نفسه الذي يصطلح للسكن المادي، وهنا نُعنى ببناء نص كأنه عمارة.

■ باستثناء، تجارب شعرية قليلة عملت على تذويب الإيديولوجي في الشعري، فقد بدا جيل السبعينيات في نظر النقّاد كأنّه مُصاب بحمى السياسة. هل تعتقد أنّ السياسة وإيديولوجيتها غدت في النصّ الشعري السبعيني (عبد الله زريقة، محمّد بنيس، عبد الله راجع، محمّد بنطلحة وغيرهم) مفردات جماليّة تُغذّي شعريّة العمل الشعري، وتجعله مفتوحاً على تحوّلات الواقع الاجتماعي لدى هؤلاء الشعراء؟

ـ أتحفّظ على مصطلح «الجيل». إنه اختزالي وغير دقيق. فلو حسبته زمنياً، فهو قصير جداً أو لا يسمح بنشوء تجربة ونضجها واكتمالها. ولو اتخذته وعاء يستوعب نصوص لفيف من القصاصين أو الشعراء تجمع بينهم حساسيات وخصائص مشتركة بهذا القدر أو ذاك، فإنما هو تصنيف عام. أما أنهم نشروا وعرفوا في حقبة واحدة، فهذا أيضاً ليس مسوغاً للتسمية. أنت اخترت الأسماء المذكورة وحدها، وأراك أقصيت، لأقل غفلت عن الأهم والأرسخ في السبعينيات: أحمد المجاطي، محمد الخمار الكنوني، عبد الكريم الطبال، إدريس الملياني، وغيرهم، هؤلاء هم السبعينيون الحقيقيون، أما من ذكرت وسواهم وبينهم تلاميذي، أنا أدرى ببداياتهم، فكانوا ناشئين ويتمرّن أغلبُهم على قصيدة النثر بعد تعذر قصيدة التفعيلة التي أرساها السابقون عليهم ووصلوها، وثمارهم ستينع بعد ذلك. زريقة، ظهر في نشأة متمردة مختلفاً عنهم، وراجع، المأسوف عليه رحل باكراً ومشروعه يتأسس، ومحمد بنيس يتعلم منه ويجواره وواصل صوته الخاص، والمحك هو النص في النهاية لا النوايا والبلاغات الشعرية. منذ الثمانينيات حدث عندنا ابتلاء بالتنظير للشعر أكثر من العكوف على إبداعه، وهو تقليد أعمى لأدونيس، الذي كان قد أسس أغلب منجزه الشعري بثبات وحقّ له أن ينظر له ويؤطره بالفهم. أما عن السياسة، فلا أعرف من هم النقاد الذين قالوا إن هذا الجيل المزعوم مصاب بـ«حمّى السياسة». يستحسن القول إنه شأنُ كل الأدباء المغاربة، كُتب ملتزماً وممتلئاً بقيم الدفاع عن الديمقراطية والكرامة والحريات مناهضاً للظلم والاستبداد، والقصيدة لا تستخدم القاموس الإيديولوجي ولكن تستوحي المعنى وترسمه بالاستعارات إن هي أفلحت وإلا فهي بيان، ومن هذا النوع وُجد كثير بأسفاف نثري وبلاغة نضالية، يتمسحون بأدونيس بينما هو في مجرة أخرى وإما يجادل في قضايا ثقافية وإنسانية. والغالب هو منزع ضعاف الموهبة الشعرية، بينما واصل محمد بن طلحة وريثاً شرعياً للمجاطي الشجنّ والحياة، والالتزامُ عنده ضميمة متألقة لقصيدة تفعيلة ونثر معاً تشيّد البناء، تستخدم نقدياً مصطلح المعمار، نفسه الذي يصطلح للسكن المادي، وهنا نُعنى ببناء نص كأنه عمارة.

■ «رجال الدار البيضاء» عمل ضخم وهام، يجمع في طيّاته السيرة الذاتية بالنفس الروائي والتوثيق التاريخيّ بالكتابة التأريخية المونوغرافية القائمة على رصد سيرة الدار البيضاء وذاكرتها الحيّة. أولاً لماذا الدار البيضاء، وليس مدينة برشيد مسقط رأسك؟

ـ عنوان روايتي الأخيرة كاملاً هو «رجال الدار البيضاء ـ مرس السلطان» (المركز الثقافي للكتاب، بيروت . الدار البيضاء). هذا التدقيق ضروري لا يستقيم العنوان إلا بطرفيه. ذلك أن تيمة الرواية هو الزمن السياسي والإنساني لهذه المدينة كما عاشته فيها رجال متقاربون ومتنافرون أيضاً في حقبة السبعينيات الموصوفة سابقاً، وهي ترصد وتتبع مصائرهم مشتركةً ومختلفة عبر بانوراما المدينة والزمن المغربي لتلك المرحلة بصراعاته ونضالاته وتطلعات جيله وبالحزان الفردية في قلبه. وكما ذكرت، المكان بؤرة جميع رواياتي، وهذا الجنس عموماً، لذلك تعد ساحة مرس السلطان وهي المركز العصري للدار البيضاء، ملتقى جميع الطرق والمصائر، هنا العب لعبتي، وهنا مختبر السرد الذي يروي الحكايات ويوزع الأدوار ويضبط ساعة الذهاب والإياب بين زمنة، ماض حاضر وزمن مركب منهما معاً، وكله يمر من العين الواصفة لشخص جالس في باحة مقهى لا يبرح موضعه بينما الدنيا قائمة حوله، يتناوب الرواة وتتنوع الشخصيات وتكثر الأحداث، وتُرسم الآفاق وتُبنى كما تنهار الآمال تحت وقع القمع السياسي وقهر الذات. هذا الشخص ليس أنا إطلاقاً، ولا ملمح فيه مني بتاتاً، فلا سيرة ذاتية في هذه الرواية وإن كان مؤلفها خبر بعض شخصياتها كما حضر جزءاً من وقائعها، وبالطبع يمتلك الخبرة الضرورية لاستعادة ما يسرد ويصف بدقة. وقد تعمدت أن آتي بأشخاص حقيقيين إلى جوار شخصيات متخيلة وأخرى باقنعة تتعايش حاضرة وفاعلة في «عالم» مغلق ومفتوح، أفقي وعمودي، الأول عام والثاني حميمي، الأول السياسي والتاريخي، سمّه الموضوعي حيث التوثيق والمعلومة وتسمية الأشياء بمسمياتها، الثاني الشجني، يلعب فيه التخييل أكبر دور وشعرية النص. إن الرواية فن واقعي بامتياز، ثم ترتدي عباءة التخييل، الواقع مُعاداً ومكتوباً باللغة التي لها خصائصُها فتعكسه بطبيعة مغايرة نراه بعدسة مؤلف وإدراكه وفكره وإحساسه ومخيلته، وهذه هي الرؤية. أما برشيد، فهي مسقط الرأس لا غير، وأنا أتعصب لها لأنها عاصمة قبيلة أولاد حرين، منها أمي، والحريزيون زهوانيون مفتونون بالحياة، هم فرسان منطقة الشاوية فتّانون نساءً ورجالاً. بينما الدار البيضاء مربع الفتوة الأول، وفيها خضت «معاركي» الأولى في السياسة والثقافة والحب وأولى النزوات، وفيها بدأت الكتابة ورأيت الشهيد عمر بن جلون وهو من دفعني إلى معمعة النضال وجدية الحياة، فلا بد أن أفي له وقد قتله الظلاميون وأعداء الديمقراطية في منتصف السبعينات، وهو سيد رجال الدار البيضاء.

■ يحظى العمل بأهميّة كبيرة، خاصّة أنّ مُنطلقات كتابته تأخذ بُعداً معرفياً، بدل أنْ تكون رومانسية حالمة، بحكم أنّه يتماشى مع أساليب وروْى وأفكار الكتابة الروائية الجديدة المُرتكزة إلى البحث وتداخل الأجناس الأدبيّة والأساليب الفنيّة بين الكتابي والبصريّ، بما يجعل «رجال الدار البيضاء» عملاً مُركباً له القدرة على نسج علاقة مع ذاكرته واجتماعه. كيف يستطيع القارئ التمييز بين الروائي والتاريخي في عملك الروائي، خاصّة أنّك تستند إلى مادّة واقعية وشخصيات فكرية حقيقية يعرفها كلّ المغاربة؟

ـ لا ينبغي للكاتب، للروائي، أن يكون مضطراً لنشر وإعادة رسم هندسة ومقومات نصه شكلاً ومضموناً ودلالات. كلّ شيء موجود في نصه، ومعروض على القراء، هم عديدون بحسب ثقافتهم وذواقهم ونوعية تلقيهم. وسأجيب لو أمكن باختصار، قائلاً إن جميع رواياتي منذ منتصف السبعينيات إلى اليوم ذات خلفية تاريخية، إنما التاريخ ليس أرضيتها ومداماكها إذا غضضنا عنه الطرف انهار البناء، بمعنى أنني لا اكتب رواية تاريخية وإنما أحيل بالحكاية ومسار الشخصية والرؤية المبثوثة إلى مرجعيات تنير وترشد وتسهم في إنتاج المعنى، إما لتمفصل مع مجرى الرواية وأفعالها. والرواية مهما شطت في الخيال وصناعة التخييل، لا يمكن أن تكذب على الواقع وإلا تأتى مختلة، وإما تنزاح بتغليب التخييل وتبئير الحكاية الشخصية لا التاريخ ومرجعياته، وقد سعيت إلى تزويج الأمرين معاً بقصد في «رجال الدار البيضاء»، أفضى في زعمي إلى سرد ثالث، وهذا الرهان هو بداية لمشروع قادم لي في تصور الرواية.

■ صدر لك هذه الأيام كتاب جديد بعنوان «كي نفهم الرواية الجديدة: دراسة، نصوص وحوار خاص» (مفترق الطريق، 2021). ما الحاجة اليوم إلى إصدار مثل هذا الكتاب في وقت أصبح فيه الكلّ يبدو روائياً؟

ـ الحاجة إلى هذا الكتاب وأمثاله مطلوب مني ومن غيري، السبب أننا نستعمل مصطلحات ومفاهيم وأسماء مدارس أدبية وفلسفية، وأحياناً بكثير من البداهة والتبسيط، ولا نعود إلى جذورها المؤسسة وتاريخ الأفكار الذي ولدت فيه وترعرعت، وخصوصاً إلى النصوص النموذجية الممثلة لها، فياتي استخدامُنا مشوّشاً أو مبتوراً ويستّفحل سوء الفهم، يمكنك أن تعمّم هذا على فهمنا للمدارس الأدبية في الشعر والرواية، الأمر ناجم عن ضعف الترجمة وقلة السليم منها. الرواية الجديدة التي تعد في نظري وعند دارسي الرواية هي آخر تيار روائي في فرنسا، وربما في السرد الغربي عموماً، وكان له تأثير بدرجات على آداب العالم، نعم ليست هي النهاية ولكن، كما قالت الروائية الفرنسية آني أرنو، لا يمكن أن نكتب بعدها كما كنّا نفعل قبلها، وبأن الكتابة هي بحث وبحث عن الشكل، ل

ترجمة

قصتان من أميركا اللاتينية

ترجمة **مجاهد مصطفى**

1. فرناندو سورنتينو (الأرجنتين): مجرد افتراض

يقول أصدقائي عني، بأني سريع التأثر، وأعتقد أنهم على حق، وكمثال على ذلك، يسردون لي قصة وقعت لي يوم الخميس الماضي.
في ذلك الصباح، كنت أقرأ رواية مرعبة، وقد انغمست في قراءتها إلى درجة التأثر بها. ومن قوة تأثيرها عليّ، تخيلت بأن في مطبخي، يوجد قاتل شرس يهددني بسكين كبيرة، وينتظر ولوجي إلى المطبخ، لكي ينقضّ عليّ، ويغرز سكينه في ظهري. وبما أنني أجلس في مواجهة باب مطبخي، ولا يمكن لأي أحد الدخول من دون أن أراه، كما أنه ليس هناك باب آخر للولوج سوى هذا الذي أمامي، وبرغم كل التأكيدات، كنت مقتنعاً بأن القاتل ينتظرني وراء هذا الباب المغلق.
وهكذا، فتحت تأثير هذا الجو المشحون، كنت عاجزاً عن الدخول إلى مطبخي، الشيء الذي كان يشغلني كثيراً، نظراً لاقتراب ساعة تناول الغذاء، وبالتالي كان من الضروري الدخول إلى المطبخ.
وفجأة دقّ جرس بابي:
- ادخل، الباب مفتوح، صحت بدون أن أقوم من مكاني.
دخل البواب، وبيده رسالتان.
- ساقي مخدِّرة، قلت له، هل تستطيع الذهاب إلى المطبخ، لتحضر لي كأس ماء؟

«رسالة في قارورة» (من التصاميم الأنفوغرافية لموقع best-wallpaper.net)

فرد البواب:
-بطبيعة الحال. ثم فتح باب المطبخ، ودخل.
بعد لحظة، سمعت صرخة ألم، وضجيج سقوط جسد على الأرض، مع وقوع صاخب للصحون والقناني.
هكذا، قفزت من مقعدي، وركضت نحو مطبخي.
وجدت البواب ملقى فوق الطاولة، وقد انغرز سكين في ظهره.
الآن، وباطمئنان كبير، لاحظت، بالتأكيد، عدم وجود قاتل في مطبخي. يتعلق الأمر بمجرد افتراض، بطبيعة الحال.

2. روبرتو بولانيو (تشيلي): بطاقة بريدية

695 - باريس. إضاءات ساحة الكونكورد.
بعيداً، برج إيفل.
أمي العزيزة، من المؤسف جداً ألا تستطيعي رؤية كم هي باريس كبيرة وجميلة. أتخيل ذلك أنه من الآن فصاعداً، بعد وفاة أنّا (نعم لقد كنت على حق، فهي ليست فتاة لطيفة)، سوف أكون أكثر اجتهاداً في هذا التمرين التراسلي الذي أحافظ عليه معك منذ فترة طويلة. كما قلت لك، فإن باريس كبيرة وايامي قصيرة جداً، من أجل أشياء كثيرة يمكن رؤيتها، سماعها، فعلها وقراءتها. البارحة، قرأت، على سبيل المثال، أن دور النشر النيويوركية تتلقى أكثر من عشرة آلاف كتاب شعري في السنة. هل تتخيلين ذلك؟ كم عدد الشعراء! من دون الأخذ في الاعتبار بالطبع، الذين يكتبون القصائد ولا يرسلونها بعد ذلك إلى دار النشر. ومن دون مراعاة من يرسلون مخطوطاتهم إلى مدن أخرى في البلاد. ففي المجموع، وإذا ما قمنا بتقدير منخفض للوضع، في الولايات المتحدة، سنصل إلى حوالى ثلاثين ألف ديوان شعري في كل سنة. هل يمكنك تخيل هذا الدوار؟ ثلاثون ألف كتاب لم ينشر بعد مع مفاتيح كل شيء. لو استطعنا قراءتها! حسن، توفر البطاقات البريدية مساحات صغيرة، وقريباً سأكتب إليك لفترة أطول. أما الآن، فسوف أستيقظ، واقترب من نهر السين، لكي أرمي البطاقة البريدية في الماء. ربما ستنجح التيارات البحرية في إرسالها إليك. فمن الممكن، أنه في يوم ما، عندما تفتحين الصنبور، تخرج منه البطاقة.
ديدالوس.

شذرات

يوم حافظ الشيرازي، 12 أكتوبر

موسى بيدج *

لحافظ ديوان يحوي حوالى خمسمئة قصيدة غزلية مشحونة بخيال خصب وأفق وسيع وأدب رفيع ورمزية لا يضاهيها قصائد ولدت قبلها أو بعدها في اللغة الفارسية إلى يومنا هذا. حسب هذا الديوان، فإن حافظ كان شاعراً مقلاً، ولكن هناك من يقول بأنه قد اختار من قصائده ثلثاً، وأعدم ثلثين فصار الديوان الذي بين أيدينا.

عاش هذا الشاعر في القرن الثامن الهجري نيفا وستين سنة، لم يخرج من شيراز إلا مرة واحدة. فقد جاءته دعوة من الهند، لكنه حين ارتقى السفينة هاج البحر، فندم وعاد إلى مسقط رأسه.
حين أسلم الشاعر روحه لخالقه، اعترض رجال الدين على دفنه في مقابر المسلمين واعتبروه ملحداً، فدفن في محل إقامته الذي أصبح من بعده مأوى للعاشقين ومقصداً للملوعين بقصائد الحب والهيام.
ولكن الأهم من ذلك هو محاربته بقصائده للظلم والجور والرياء والنفاق والافتراء، وبعبارات مشحونة بالسخرية أحياناً. وفي كل الأحوال، لا ينسى أن يذكرنا دوماً بأن كل شيء زائل ماعدا الحب، فالكائنات مجبولة على العشق فيقول: «لم أر أجمل من صدى كلمات الحب/ تبقى كذكرى على قبة الفلك الدوارة هذه».
كان حافظ يعشق العربية، ويقول بأن فمه مملوء بلغتها وأدبها، وكان يطعّم بعض قصائده بعبارات ومصاريع يكتبها بالعربية لتكون من الشعر الملمّع.
في يومنا هذا، لا تخلو البيوت الإيرانية من ديوان حافظ، وإن لم يجيدوا قراءته، فيضعونه على خوان عيد النوروز، كما أنهم يستشيرونه في بعض أمورهم فيجيبهم بقصائده ويرشدهم إلى ما فيه الصلاح أو هكذا يعتقدون.
من أبيات له:
اشرب الخمر فالشيخ وحافظ والمفتي والمحتسب/ إذ أمعنت النظر تراهم كلهم ينافقون

■■■

قلت لكبير الحانة أين طريق النجاة/ طلب قدحاً من نبيذ وقال: الستر على عيوب الآخرين

■■■

مدينة مكتظة بالفنج والدلال من ست جهات/ لولا أني معدم لكنت اشتريتها بجهاتها الستة

■■■

إذا تلك الحسناء الشيرازية راعت ما بقلبي/ سأهدي سمرقند وبخارى لوشم وجنتها الهندي

■■■

على قصائد حافظ الشيرازي يرقص بدلال وغنج/ ذوات العيون السود الكشميريات والتركيات والسمرقنديات

* إيران

ضريح ومزار حافظ في شيراز

قصائد

أتعثّر في الغيمة فتبكي

جمال الموساوي *

1. اكتشاف

ألهو باللغة
كما يلهو طفل بشفة والده.
تتعدد الأصوات
وحيوانات كثيرة تخرج.

2. لغة

غفوت على سرير اللغة
وانتظرتك.
الكلمات طريق
النقط عسس.
دائماً ثمة ما يفضح العاشق:
صفة غائمة
وحال!

3. متعة

هناك متعة في النظر إليك
من خلف حجاب.
أطلق العنان للمخيلة
وتصهل خيول في الجسد.

4. من باب السماء فوقنا

أتأمل الخريطة وأنحاز للغابة
الهدوء ملكُ.
الهواءُ أن تعبثي بفكرتي عن الأشياءِ
المثيرة
وأن تنشري الضوء
في المحيط.
بحرٌ يوقدُ من شجرةٍ
في المطلقِ
ويتدفقُ.
كلّ هذا وأكثرُ
ثمة غيمةٌ أخرى
وأخرى،
هذا البحرُ يوشك أن يغرق
في نفسه
وفكرتي عن الأشياء
لا تزال على حالها.

5. بعين أخرى

أرى بعينٍ أخرى.
لا أبالي بهاتين العينين
هناك ما هو أكثر عمقاً من كل هذا الهراءْ.
بعيني الأخرى
أرى
هذا النسيج المتشابكَ،
المليء بالفرحْ
المغلّق على الألمْ
أرى أنهُ لا يزالُ طفلاً
ينضحُ كموزة في غير أوانها،
أراه بالعين الأخرى،
يستعبدُ ظلالاً بعيدةً
شرفاتٍ لشموسٍ غائمةٍ
وشلالاً كاملاً منَ الأحلامْ.
أرى بالعين الأخرى
أرى الأيامَ تجمع متاعها
وتبحثُ عن مضجع هادئ
لهذا النسيج المتشابك،
لي، في حديث آخر.

6. مجرد قبس

لدي هاجس.
يحتاج الأمر إلى خيال خلاق
وإلى تواطؤ
أو مؤامرة.
سأصبغ بالأسود
غرفة الحبّ،
هذا سيثير غيرة المصباح المعلق
بينما لعينيك بريق،
وللجسد نور.
ولدي هاجسٌ مضادّ،
سأعطر بالبنفسجيّ
هواء القلب،
هكذا أكونُ في غير حاجةٍ إلى شكل محدد
من الخيال،
وتكونُ باباً إلى الجنة
غرفةُ الحبّ.
الجنة بيضاءُ
قاب قوسين
إلى الأعلى،
وهذه الروح المعلقة في شجرة الأمسِ
تقرأ كتابها.
هناك ما يجعل الخيالَ حارساً لفارس في
العتمة
لا أتحدثُ مطلقاً عن الشاعر،
هو ينسجُ نشيده الخاص ويبتعدُ
أتحدثُ عن نافذة يطل منها على حديقة
من نورٍ،
وأذكّره بالأسود في غرفة الحبِّ،
بالحروفِ مثل أقنانٍ في حقل من الشهوة،
وبغرفة البنفسج تملأ عينيه فيعبرُ
لا يرى إلا ما يشعُّ:
نور على نورْ
شجرة توقد من زيت القلب
وهذه النجومُ التي تكسو السماواتِ
قبسٌ
مجرد قبسٌ!

7. يدا في يدٍ

بشأن ما سيحدثُ
ليس لي ما أقولُ.
للموتِ: تعال يا صديقُ
ويداً في يدٍ
نمضي في الممر الوحيدِ
إلى عزلة الشجرة.
الحياةُ
تشعُّ مثل بلورة معلقةٍ
في سقف الشكّ
مثل قطاعة في الشمسِ لا يمكن رتقها.

يا صديقُ
يداً في يدٍ
نصنعُ التاريخَ تركةً للأغبياءْ
يداً في يدٍ
نرحلُ سعيدين في الألمِ
غير عابئين، أنا على الأقلّ،
بما سيحدثُ.
فقطْ
ساشتاقُ، فأنا كائنٌ بعاطفة هشة،
إلى غيمةٍ في المجازْ،
وإلى شمسٍ لا تنام مطمئنة إلى عشب
المخيلة
من هناك
تصعدُ لغة غامضةٌ
وأن الواحةَ ليستْ في الواقع نواةَ لهذا
الهراء
وأن العالمَ نفسهُ ليس سوى استعارةٍ
وأن الفكرة المليئة بالشكّ هي المفتاحُ
وأن الكنزَ هنا.

9. زاد التجربة

أفترضُ أنّ ثمة ظلالاً،
وأنّ الكلامَ
زاد التجربة،
وأنّ النهرَ المتدفقَ
يسقي ضفاف القلب،
وأنّ جزيرة البنفسجِ
على حالها،
وأنّ الشلالَ هديرٌ متواصلٌ.
أفترض أن ثمة ظلالاً،
وأن هذا العمرَ أوشامٌ،
وأنهُ كالشمس،
يمضي،
عادةً،
ويعودْ.

10. هناك حظ أقل

الشرفة التي لا تفتح إلا نادراً.
الحديقة التي تحشد عشبها بسرعة
ويتماطل البستاني في زيارتها.
المجرفة الكسول المحايدة في ركنٍ.
مقص العشب المصاب بكساح مزمن.
الجندب الذي قتلته وأشعل كل أكياس
الندم في القلب.
الأرجوحة التي كسرتها رياح الأيام
الماضية.
الصيف المتردد فيرحل ثم يعود.
المطر الذي يطل من تلك الغمامة في بيت
الشاعر:
«كما أبرقتْ قوماً عِطاشاً غمامةٌ... فلما
رَجَوها أقْشَعَتْ وتجلتِ».
الساعة الإضافية والساعة المنقوصة.
الأجراس التي في الرأس مثل قرني
حلزون.
السلحفاة الصغيرة التي خرجت ولم
تعد.
الطائران اللذان اغتالهما القفص قبل
أربع سنوات.
الكلب الذي سرقه شخص ما.
عمود الموجات الكهرومغناطسية
المهدّد.

رينيه ماغريت: «الانتقام» (زيت على قماش، 1936)

لكنّ الليلَ مكانٌ لعزلة الروحِ
تغذّ الأشباح إليهِ للتنزّه
أو فقط لإعادة حلم قديم إلى مكانه!

13. الشاعر

«هو»
كان يكتب لزوجة قلبه شعراً
وأنا أراقبه
أقتفي خطاه على ضفة النهر
كانت بلا أثر.
«هو»
لم يكن يكتب شعراً،
كان يمشي
على الماء.

14. بين بين

أريد أن أزرع أرنبين
في حديقة البيت.
الحياة باختصار
لقاء اثنين لا حرب بينهما.
اثنين على الوردة الوحيدة للحلم
وعلى طاولة بكرسيين فقط على حافة
العالم.
هناك
لا في الجنة
ولا في النار.

15. تمثال في ملتقى شارعين

يوماً ما، ساكون ذا شأنٍ؛ سيكون لي كتابٌ يُتلى؛ وكتائبُ تروي سيرتي على ملأ خيرٍ مما أرى؛ وسيكون لي تمثالٌ في ملتقى شارعين، في ساحة عمومية. سيكون هناك عابرون كثرٌ، وعابراتٌ، أغيِّبُهم إلى شامةٍ بين عينيّ، يتأملون الحياةَ التي يعكسها وجهي وأنا أنظر إلى الأرض. إلى الأرض كما فعلتُ دائماً. سيكون هناك صبيانٌ يضحكون عند ركبتيّ وصبايا. سيكون هناك عاشقة وعاشقٌ يقبل مسومةٌ للذكرى، وصور لحماية حبهما من الملل عندما يدهمهما في غرفة الأحلام. سيكونُ هناك شعراءُ وسياحٌ عابرونَ؛ ستكون هناك حماماتٌ، وعاملُ نظافةٍ، وشبحٌ. يوماً ما ستذكرُ الغابة التي كانت تغزو حلمي، والأرانب التي تملأ باحة الوجدان؛ الطفل الصغير وهو ينظر إلى مرآة لم تكنْ؛ حلاقة الشارب لأول مرة؛ ضحكات الفراشات التي كنت أزرعها في الكلمات؛ إحساس اليدِ وهي تجس النهدَ الأولَ، وأنواراً وأنواراً وأنواراً، تلك الهالة التي يصنعها الحبُّ أو ما يشبهُه؛ تواطؤ الليل والنهار على القلب وهو يتدحرجُ مع الوقت. يوماً ما، سيكون لي تمثالٌ في ملتقى شارعين، وسيكون لي شأنٌ. سأتخيلُ السماءَ وأتذكر حذري المرضي من البحر، سأتخيلُ طيوراً مهاجرة، وأنني محطة في الطريق، وقصائدي مقاه مفتوحةٌ 24/24، والقراءُ عابرون وعابراتٌ. سأتخيلُ صوتي في كتاب مدرسي لأجيال ستأتي. أشعر مسبقاً بزهو المتنبي، وأفكر في زهد رامبو، سأكون في خيالي ما شِئتُ. ما كنتُ أود أن أكون. وسأصغي إلى روحي التي لم تعدْ، وإلى جسدي البعيدْ. يوماً ما سأكون ذكرى في قلب امرأة وسيكون لي تمثال في ملتقى شارعين. سأكون ملهماً للشعراء القادمين من المستقبل مثل جيفارا، وإن لم يكن شاعراً، والشابي ونيرودا وآخرين أعلمهم، وآخرين لا أتذكرهم، وآخرين لا أعلمهمْ. سأنثر بقايا كون يتآكل وأمضي في ملحمة العبور بلا انتباهٍ إلى الخلفْ. سأنسى أنني مشيتُ على الأرض أو أنني نظرت إلى السماء. سأترك الأولى للحنين والثانية للترقب، وأمضي، أنا مجردُ تمثال في ساحة عمومية، وفي متاجر التذكارات، ستأتي امرأةٌ تعرف القصةَ، ورجلٌ يعرفني، وأطفالٌ راوا صورتي في وثائقي على التلفاز: إنهُ هو. كأنه هوَ! ستحملني المرأة في قلبها، والرجل في قصيدته، والأطفال في أحلامهمْ. وساكون ذا شأنٍ. ويوماً ما، سيكون لي تمثال.

* الرباط/المغرب

شعر

عباس بيضون: قيثارة أورفيوس

محمد ناصر الدين

«نفسي مزدحمة/ كثيرون خلَفوا فيها أعماراً منقضية/ وأفكاراً انتهى أوانها/ تجارب، لم تكتمل في منتصفها/ نفسي مزدحمة/ منذ أغلقت المعابر/ منذ توقّفت الساعات/منذ بقيت سنون تحدث دون انقطاع/ وبدون أن تقبل المزيد/نفسي مزدحمة/ الهاربون إليها قطعوا أعماراً بأكملها/ قطعوا سنين لم يعيشوها/ ولا يزال الوقت ساخناً فيها/ تركوا حياة ما عادوا يتعاطونها إلّا بالكاد/ وطاقة ليست للاستهلاك/ وبالطبع كان الوقت يحدث في الخَلف/ والمواليد يسقطون من الذكريات» إنه شعر «الوقت الذي يحدث في الخَلف» ما يطالعنا به الشاعر اللبناني عباس بيضون في مجموعته الشعرية الجديدة «الحياة تحت الصفر» (دار نوفل/ هاشيت أنطوان 2021) في عشرين نصّاً تبدأ بـ «منفَخ إلى غرفتي» وتنتهي بـ «العاصفة»: خروج الشعر من الوقت ليحدث في الخلف، يذكّر بجملة شهيرة لأحد أشهر سائقي السيارات بداية القرن العشرين، ستيرلينغ موس: «ثمة نقطة حاسمة لا يمكن للمرء أن يتخطّاها دون أن يجازف المرء بحياته». وبالمقابل لا يكون السياق حيوياً فعلاً إلا إذا تخطّيناها». في «الحياة تحت الصفر» يبدو عباس بيضون وقد تخطّى هذه النقطة التي في هذا السياق هي خارج الطريق، وبالاشتقاق الفيزيائي خارج السرعة وخارج الوقت. إنها بالضبط حياة تحت الصفر، كثّفتها العزلة وحجر «الكورونا» لتصير قابلة لأن تتجمّد، كما لو حُبست في مرآة لا قرار لها للصور الاستعادية التي تستفزّها وتحبسها من الشارع والمقهى وصوت الحياة ليضع الشاعر أعيننا عليها عند نقطة «الصفر» على طريقة رولان بارت، عند شيء أشبه بنيغاتيف الصورة في الكتاب الآخر لبارت «الغرفة الواضحة»، صفر يعكس مجيء العبث، والتنصل من الغائية، أو الفراغ: يصبح الغياب من الوقت الهدف المباشر للكتابة. فكما البعد الانبعاثي للفوتوغرافيا يجعلها محفزاً لتصبّح مجازاً للسيرة عند بارت، يبدو النص والحياة في «الحياة تحت الصفر» لعباس بيضون في علاقة متوازية عكسية، أحدهما نيغاتيف للآخر: «فقط سقط الصفر علينا/ نحن فقط ما يمكن جمعه من أمسيات العزلة/ وما يمكن أن يكون بقي على المائدة/ ما أهملته الذاكرة/ وما يكون قد عرّاه النسيان/ قد يكون أيضاً نُصباً من دقائق/ أو مجرّد وقت مركوم/ من أعمار متباينة تسوّلت الحياة/ وحصلت منها على وقت إضافي/ وربّما على وحل طري وعناوين».

لكنه صفر ضروري، لأنه أحياناً، في غمرة كل ما ينفّس أو ما يُعبّر عنه من الأشياء، في تضاعيف الاكتمال المغمور بالضوء الناصع، يحدث أن تلمع برقة للهشاشة والفراغ، شيء لا محيص عنه وأساسي يتمخّض، يصنع شكله بنَفسه، في الكلام أو الصمت، ويصبح مثل وحي مرافق للشاعر ووجوده وبدونه لا تصبح الحياة حقيقة: هذا «البرق» نلمحه مباشرة في النص حابسين أنفاسنا، ولو كان على هيئة الصفر: «كان ذلك الصفر كروياً/ ولم ينطفئ إلا بعد جهود/ أحضرناه من الحديقة حيث كان يضيء/ بالطبع كنا فخورين لأننا أوجدناه/ لكن لم نعرف متى يكون سيّداً/ ومتى يستولي على الظهر/ لم نعرف أن جائزتنا كانت هناك/ وصلت إلى رأس النصب/ حيث صعدنا أيضاً/ ولم يتكرّر الأمر/ كان ثمّة حقيقة وحيدة ولم نبالِ/ حقيقة مكوّرة لم يجازف أحد/ برفعها عن الأرض/ لقد عاد هذا الصفر إلى الوجود/ وكان بالطبع هائلاً حين قابل الشمس/ وحين جثم فوق الحديقة/ كان هائلاً أيضاً/ حين أخلى الضوء/ وأخلى الوقت».

يوجّه عباس بيضون نصّ «النحّات» إلى آخر/ وحده النحّات الصغير/ رحل بدون أن يصنع تمثالاً لي». وهذه اللغة بدأنا نألفها عند عباس في مجموعاته الأخيرة سواء في «ميتافيزيق الثعلب» أو «الحداد لا يحمل تاجاً».لغة الخسارات المرؤضة مثل ثعلب سانت اكزوبيري في «الأمير الصغير» التي تتخذ القلب صديقاً، لغة الإقدار الصغيرة: «أقلّب هنا لا تُبدو مزينة بعنف انفجارها، ولا تلامس الكلمة الاهتزاز الميكانيكي للكلمة التالية التي تنقرض على الفور، كأنها كلمات تستثني الأشخاص، وترافقهم إلى غيابهم: «كيف تقلت حياتي إلى باريس/ وأودعتها في مصحّ/ كثيرون حملوا أيامي/ ونقلوها كالأكاذيب/ من منزل إلى آخر/ وحده النحّات الصغير/ رحل بدون أن يصنع تمثالاً لي». وهذه اللغة بدأنا نألفها عند عباس في مجموعاته الأخيرة سواء في «ميتافيزيق الثعلب» أو «الحداد لا يحمل تاجاً».لغة الخسارات المرؤضة مثل ثعلب سانت اكزوبيري في «الأمير الصغير» التي تتخذ القلب صديقاً، لغة الإقدار الصغيرة: «أقلّب الحقيقي/ لمجرّد أن تلامس الأرض»:اللغة هنا لا تُبدو مزينة بعنف انفجارها، ولا تلامس الكلمة الاهتزاز الميكانيكي للكلمة التالية التي تنقرض على الفور، كأنها كلمات تستثني الأشخاص، وترافقهم إلى غيابهم: «كيف تقلت حياتي إلى باريس/ وأودعتها في مصحّ/ كثيرون حملوا أيامي/ ونقلوها كالأكاذيب/ من منزل إلى آخر/ وحده النحّات الصغير/ رحل بدون أن يصنع تمثالاً لي». وهذه اللغة بدأنا نألفها عند عباس في مجموعاته الأخيرة سواء في «ميتافيزيق الثعلب» أو «الحداد لا يحمل تاجاً».لغة الخسارات المرؤضة مثل ثعلب سانت اكزوبيري في «الأمير الصغير» التي تتخذ القلب صديقاً، لغة الإقدار الصغيرة: «أقلّب الحقيقي/ لمجرّد أن تلامس الأرض»:اللغة هنا لا تُبدو مزينة بعنف انفجارها، ولا تلامس الكلمة الاهتزاز الميكانيكي للكلمة التالية التي تنقرض على الفور، كأنها كلمات تستثني الأشخاص، وترافقهم إلى غيابهم: «كيف تقلت حياتي إلى باريس/ وأودعتها في مصحّ/ كثيرون حملوا أيامي/ ونقلوها كالأكاذيب/ من منزل

إنه شعر «الوقت الذي يحدث في الخلف»

إلى آدم حنين، في مينيمالية أقرب إلى جماليات جياكوميتي، وكأن بيضون يصف كلماته برفق لئلّا تنكسر التماثيل: «انتظرت عبثاً أن أوجد مع التماثيل القصيرة/ التي صفّها فوق نافذته/ سيكون صعباً أن تُدفن معه/ في ضريحه الصغير/ إذ ستعود إلى حجمها الحقيقي/ لمجرّد أن تلامس الأرض»:اللغة هنا لا تُبدو مزينة بعنف انفجارها، ولا تلامس الكلمة الاهتزاز الميكانيكي للكلمة التالية التي تنقرض على الفور، كأنها كلمات تستثني الأشخاص، وترافقهم إلى غيابهم: «كيف تقلت حياتي إلى باريس/ وأودعتها في مصحّ/ كثيرون حملوا أيامي/ ونقلوها كالأكاذيب/ من منزل إلى آخر/ وحده النحّات الصغير/ رحل بدون أن يصنع تمثالاً لي». وهذه اللغة بدأنا نألفها عند عباس في مجموعاته الأخيرة سواء في «ميتافيزيق الثعلب» أو «الحداد لا يحمل تاجاً».لغة الخسارات المرؤضة مثل ثعلب سانت اكزوبيري في «الأمير الصغير» التي تتخذ القلب صديقاً، لغة الإقدار الصغيرة: «أقلّب الحقيقي/ لمجرّد أن تلامس الأرض»:اللغة هنا لا تُبدو مزينة بعنف انفجارها، ولا تلامس الكلمة الاهتزاز الميكانيكي للكلمة التالية التي تنقرض على الفور، كأنها كلمات تستثني الأشخاص، وترافقهم إلى غيابهم: «كيف تقلت حياتي إلى باريس/ وأودعتها في مصحّ/ كثيرون حملوا أيامي/ ونقلوها كالأكاذيب/ من منزل

وهناك تغيّرت حياة هذه القبائل إلى الطابع المدني، بخاصة بعد احتكاكها بالرومان، وكوّنت وحدات عربية سياسية أهمها مملكة الأزارس التي عرفت بمملكة النبط وازدهرت لمدة خمسة قرون، وكانت مركزاً تجارياً هاماً على طريق القوافل بين سبأ وبلاد البحر المتوسط.

لقد أغار النبطيون على أقاليم «آرامية» واستعاروا حضارتها وابتدعوا لأنفسهم خطاً مستمداً من الخط الآرامي، وهو الأصل الذي استمد منه العرب خطهم واستقر شكله من الخط النبطي التربيعي إلى ما هو عليه حالياً ما بين منتصف القرن الثالث والقرن السادس الميلادي. وقد اتخذ هذا الخط أسماء عديدة نسبةً إلى المكان الذي يُكتب فيه، فسمّي الخط الحيري، الأنباري، المكي، المدني، الكوفي والبصري.

ويؤكد الباحث أن الخط الكوفي المربع ليس، هو الأساس للخط العربي الحالي كما يُشاع، ويقول إنّ العرب عرفوا الخط المستدير قبل الإسلام واستخدموه في مراسلاتهم وحياتهم اليومية لسهولة رسمه وليونته. وقد استخدم العرب الأقلام المصنوعة من الغاب والمداد واستخدموا الحَزف، عظم الجمال وجريد النخل للكتابة عليها، قبل استخدامهم البردي المصري بعد دخولهم مصر سنة 20 هجرياً.

لقد كانت الكتابة العربية محدودة المعرفة في الحجاز قبل الإسلام، كان يعرفها «أهل الذمة» ثم أخذها عنهم الصحابة الذين كتبوا الوحي، ثم عامة العرب في صدر الإسلام، ثم انتقلت إلى الأقطار والبلاد الأخرى مع الفتوحات، وأسهمت في التبادل الثقافي وترسيخ الدولة الإسلامية الحديثة.

وقد مرت الكتابة العربية بثلاث مراحل للتصحيح بسبب التحريف الذي طال قراءة القرآن. فبدأت المرحلة الأولى على يد أبو الأسود الدؤلي الذي استخدم الإعجام ومعناه، ووضع النقاط كعلامات إعرابية فوق وتحت الحروف، لتدل على الفتح والكسر والضم وغيرها. وكان استخدام التنقيط قبل ذلك مكروهاً من قبل العرب، ويدل على الاستهزاء بالمتلقّي. وكانت مرحلة التصحيح التالية في عهد خلافة عبد الملك بن مروان، عندما طلب الحجاج بن يوسف الثقفي من يحيى بن يعمر ونصر بن عاصم، وضع النقاط على الحروف المتشابهة لتمييزها عن بعضها. وكانت المرحلة الثالثة في العصر العباسي على يد الخليل ابن أحمد الفراهيدي، الذي استبدل النقاط بعلامات الفتح والضم والكسر وغيرها، لتستقر هذه العلامات الإعرابية حتى الآن.

وقد اهتم العرب بتجويد الخطوط العربية واستخدموها في زخرفة ونقوش العمارة الإسلامية، مؤكدين أنّ ما يميز حضارتهم هي الكلمة، عكس ما يميز الحضارة الغربية التي اهتمت بالتصوير والنحت. ويرى الكاتب أن جمال الكتابة العربية ومرونتها، ساعدا الفنانين العرب على زخرفتها. وكانت أهم مدارس تجويد الخط العربي هي المدارس العراقية، والمصرية، والتركية والفارسية.

ويتطرق الباحث إلى انعقاد مجمع اللغة العربية في القاهرة عام 1938 لوضع مشروع لتيسير القراءة العربية الصحيحة. وهو ما دفع بعضهم إلى اقتراح استخدام الحروف اللاتينية بديلاً عن الحروف العربية في الكتابة، وهو ما قوبل بالرفض، واعتبر المجمع أنّ هذه الاقتراحات ستقطع الصلة بين الماضي والحاضر وستقضي على التراث الأدبي العربي.

يُعدّ الكتاب دراسة هامة ومكثفة، تقف على مراحل تطور الكتابة العربية وما وصله الخط العربي من تطور، ومروراً بمدارس التجويد المختلفة وأنواع الخطوط التي استخدمها العرب، ويرسخ فكرة أنّ الحضارة الإسلامية أخذت مكانتها وظلت محفوظة بسبب الكلمة.

دراسة

الكتابة العربية... قصّة تطول

هدى عمران

ما زالت قصة الكتابة العربية وابتداع الخط الذي نكتب به نحن العرب الآن، قصة طويلة وطريفة في آن، قدّمها الباحث المصري إبراهيم جمعة في «سلسلة دار المعارف» عام 1974 في كتاب مختصر ووافٍ حمل عنوان «قصة الكتابة العربية». وها هي «مكتبة الأسرة» في القاهرة تُعيد طباعته في إصدار حديث لما يمثله من أهمية.

ينطلق جمعة من تفنيده للنظريات المعروفة حول نشأة الخط العربي الحالي، أولها النظرية الجنوبية، التي تدّعي بأن الخط العربي مشتق من المسند الحميري في اليمن. وقد أيّد هذه النظرية المفكّر والعالم العربي ابن خلدون. لكن هذه النظرية أثبتت خطأها بمجرد المقارنة بين النقوش الحميرية المكتشفة في اليمن حديثاً، وبين الخطوط العربية الأولى. والطّريف أنّ استخدام العرب الشماليّين للخط الحميري في وقت من الأوقات، كان سببه الاحتلال اليمني لهذه المنطقة.

وتأتي النظرية الشمالية لتُحاول تفسير كيف انتهت الكتابة من الحيرة إلى الحجاز. تحاول هذه الفرضية إثبات نشأة الخط العربي على يد شخصيات عربية في الحيرة، متجاهلةً استعارة الخطوط من الأنباط. وهو ما أكّدته النظرية الحديثة للكتابة العربية التي فسّرت كيف انتقلت بعض القبائل العربية من حياتها البدوية إلى الاستقرار في المنطقة الممتدة من شمال الحجاز وخليج العقبة حيث يقع الآن إقليم شرق الأردن حتى دمشق.

كانت الكتابة العربية محدودة في الحجاز قبل الإسلام

رواية

عدنية شبلي: «تفصيل ثانوي» عن فلسطين

تغريد عبد العال

يصبح الهامش أحياناً هو المتن، ما هو منسي يربكنا أكثر كأنّ شيئاً ما داخلنا يتحرك لنفكر في المشهد الأوسع، أو كما قال الشاعر الأرجنتيني أنطونيو بوركيا في إحدى شذراته: «البحر الذي نخفيه في قطرة ماء يخفي قطرة ماء».

هكذا تذهب عدنية شبلي بعيداً نحو الإمساك بتفصيل صغير قد يحفّز رؤية المشهد من جديد وإعادة تأمله، من دون أن تقول أشياء كثيرة عن الحرب في روايتها «تفصيل ثانوي»، الصادرة طبعتها الثانية هذا العام عن «دار الآداب». (دخلت بنسختها الانكليزية قائمة «بوكر» الطويلة لعام 2021). يصبح الأقل هو الأكثر وغير المهمّ هو الضروري، بالنسبة إلى الروائية الفلسطينية التي تقيم في ألمانيا وتعمل كاستاذة زائرة في «جامعة بيرزيت». وقد فازت رواياتها «مساس» (2002) و«كلنا بعيد بذات المدار عن الحب» (2004) بـ «جائزة عبد المحسن القطان». التفصيل الثانوي الذي بهم الكاتبة هنا هو الهامش، لكنّه هامش أساسي في رحلة بحثنا ونبشنا للماضي مرة أخرى. ففي الجزء الأول من الكتاب، تسرد شبلي بصوت ثالث غائب تفاصيل عن إقدام مسؤول كتيبة عسكرية اسرائيلية في منطقة النقب على اغتصاب فتاة عربية وقتلها في أب (أغسطس) 1949 أي بعد «اغتصاب» واحتلال فلسطين بعام واحد. تتنقل الكاتبة ببطء لسرد تفاصيل الحادثة، فنشعر كأنها تضع ميكروسكوباً خفياً داخل المكان. نشعر بتحركات الضابط وتنقلاته وحتى لسعة الحشرة لوركه وتحسّسه. يبدو أن حركة جسده مهمة جداً لرؤية المشهد، حتى مراقبته للمتسللين العرب ونداءه على باقي الجنود ونباح الكلب ورائحة الفتاة وصوتها المكتوم غير المفهوم. لا عواطف ولا إسقاطات ولا حتى آراء هنا. فقط تسليط الضوء على هوامش الحدث، كأن الكاتبة تفضل أن ندخل المشهد ونتأمله عن كثب من دون أن نقول شيئاً. ينتهي الجزء الأول بالجريمة، لكن الجزء الثاني يبدأ بإحساس الحاضر: التفاصيل كثيفة أيضاً، لكنها هذه المرة عن فتاة من رام الله، وهي موظفة تقرأ عن الحادثة في جريدة إسرائيلية وينتابها الشغف للبحث عن آثار الجريمة لأنّ هناك تفصيلاً ثانوياً وشخصياً يهمّها هو أنّ تاريخ الجريمة هو يوم ميلادها بعد ربع قرن. تعتبر هذه المرأة أنّ هذا التفصيل الثانوي نرجسية ما، ولكنها تستسلم له لأنها مؤمنة أنه مهم وينبع من داخلها. تنطلق الفتاة في رحلة بحث تكون مضطرة فيها لاستعارة هوية فتاة أخرى كي تستطيع عبور الحواجز للوصول إلى مكان الجريمة. هنا دخول آخر إلى الماضي، كان الرحلة تقضي بشغف شخصي وتفصيل هامشي لدخوله. كان الكاتبة تستنطق هنا تفصيلاً صغيراً ليسرد لنا أشياء كثيرة من دون أن تشرحها أو تذكرها في الرواية. هي إنما تعطي للهامش قوة الإيحاء بهول الجريمة كأن التفصيل الشخصي هو الذي يقودنا إلى خوض تلك الرحلة التي يرافقنا فيها الخوف، وأحياناً تغيير بطاقات هويتنا فقط لنتسلل إلى ماض يعنينا جميعاً. ربما يكون هنا الاغتصاب أو الاحتلال أو حتى الظلم الاجتماعي. لا فرق في هذه الرواية بين القتل والاحتلال والظلم والاغتصاب، فالجريمة واحدة والبحث عن آثارها ينطلق من الذات ومن ذاك التفصيل الإنساني الصغير.

تذكر الكاتبة على لسان المرأة في الجزء الثاني من الرواية بأنها من هؤلاء الذين يخافون تجاوز الحدود. تقول: «ما إن أتجاوز حداً ما حتى أنزلق داخل هوة عميقة من الإحساس بالاضطراب». ولذلك تقرر البقاء في البيت، لتتجاوز الحدود وهي في المنزل عبر النوافذ الكثيرة. كان شبلي هنا، ترسم حدوداً بين الماضي والحاضر، بين الصوت الأنثوي واللغة التي نشعر أنها مختلفة في الفصل الثاني عن لغة الفصل الأول الصحافية التي تصف الحادثة بتجرد. هذه الحدود تتجاوزها المرأة الباحثة عن آثار الجريمة التي تصر عليها كأنها مهمة بطولية، لكن شخصية وذاتية وفردية. نشعر في الجزء الثاني أنّ المشهد يتحرك، لأنّ الرحلة تبدأ وجغرافيا المكان تبدو متشظية بالحدود والحواجز، فيبدأ السرد كأنه خريطة أخرى للطريق، تختلف عن الخريطة التي تحملها المرأة بيدها. اللغة تصبح خارطة أخرى لطريق صعب ومليء بأسماء المدن التي تغيرت، كان الماضي المتلئ بالجريمة يمتد نحو حاضر محاصر. اللافت أيضاً أنّ الصمت هو ما نشعر به على طول السرد. الصمت الذي لا يريد أن يغرقنا في أهوال الحرب، بل في خلق لغة توحي بذلك من دون أن تقول، وهو ما تقوله أيضاً عدنية شبلي في إحدى مقابلاتها: «بالنسبة إليّ، لا يعني الصمت الغياب، بل إمكانيات متعددة. هناك الكثير من الأصوات الإنسانية وغير الإنسانية التي . حسب علوها ـ تجد نفسها مدفونة تحت العديد من الطبقات». وتقول أيضاً في سياق إجابتها عن سؤال آخر: «الكتابة هي شيء لم يُقل».

وبهذه الروح تكتب الروائية الفلسطينية عن «اللاعدالة» التي قالت بأنّها ما يدفعها إلى الأدب. ومن هنا نشعر أن الرواية ليست رواية عن الحرب، رغم أنها جريمة حدثت بعد الحرب وتشبهها، لكنها تبتعد عن ذكرها، وبالرغم من ذلك نشعر بحضورها. الأدب بالنسبة إلى شبلي ليس مرآة، أو لا يكتفي بكونه مرآة للواقع، بل يعكس الأسئلة الخفية التي تدور في خلفية أحداث الواقع. تطرح عدنية سؤال الجمالية في ظل الواقع السياسي المظلم. ويبدو ذلك واضحاً في اختيارها طريقاً يجعل اللغة أكثر إيجازاً. ومن هنا ينطلق سؤال رواية «تفصيل ثانوي»، من ذلك الابتعاد عما قبل والاقتراب من تلك المنطقة التي ربما تخيف وتقلق وتستفز التفكير، فها هي أيضاً تذكر في الجزء الثاني من الكتاب، بأن اختصاصيي الفن يركزون على التفاصيل الأقل أهمية بهدف التحقق، مثلاً، مما إذا كانت هذه اللوحة مزيفة أم أصلية. بحسب هؤلاء، حين يقوم المقلدون بتزييف لوحة ما، ينتبهون إلى التفاصيل الرئيسية والمهمة كاستدارة الوجه أو وضعية الجسم، وبالتالي ينجحون في تقليدها على أتم وجه. لكنهم قلما ينتبهون إلى التفاصيل الصغيرة الهامشية كحلقة الأذن والأظافر في أصابع اليد والقدم، مما يؤدي بهم إلى الإخفاق في نقلها بشكل كامل.

تدخل «تفصيل ثانوي» إلى لحظة فردية تكون بمثابة الضوء في عتمة جماعية. كان الذات بدايةً للحفر والاكتشاف والبحث، في رواية تغيب فيها الأسماء ويحضر المكان بقوة. ولأن هناك جزءين للرواية، تبدو كأنّها قصتان مستقلتان، لكن الاختلاف في النغمة وفي صوت الراوي، هو ما جعل الرواية تتداخل كان الجزء الثاني هو الباب الذي نعود به إلى الجزء الأول، لأن العودة لقراءة الماضي ـ كما تقترح الرواية ـ هي عودة لقراءة مختلفة للتفاصيل واستنطاق هوامشها وزواياها المدفونة. وهذا ما يدعو القارئ للتركيز على شخصية المرأة التي تقوم بالرحلة والضحية التي قتلت والقاتل الذي وصفت جريمته ببطء وبوضع «زوم» على حركاته المتكررة.

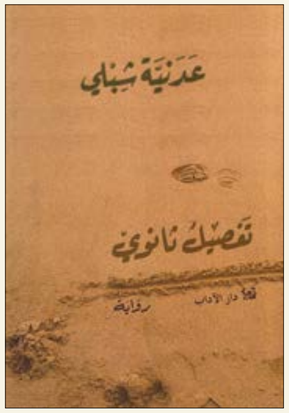

تدخل الرواية إلى لحظة فردية تكون بمثابة الضوء في عتمة جماعية

«عمارة» مريم يوسفي... مدخلاً إلى المدينة

سارة سليم

تقول إيزابيل الليندي: «على المرأة أن تبذل جهداً مضاعفاً ثلاث مرّات عن الرجل كي تحصل على نصف الاحترام. كلّفني الأمر 30 عاماً من الكتابة، و20 كتاباً». يدعونا قول الروائية التشيلية إلى التساؤل: كيف يُمكن للمرأة أنْ تؤسّس فكرها الخاص، وتدافع عنه في المجتمعات العربية، التي ما زالتْ تُنكر عليها أبسط حقوقها، وتحديداً في الأماكن التي تُعتبر فيها التقاليد والسُلطة الذكورية سيّدة الحكم؟ انطلاقاً من هذه الفكرة وأفكار أخرى، تأخذنا مريم يوسفي في باكورتها الروائية «أبي الجبل» (دار ضفة ـ الجزائر ـ 2021، ثالثُ عنه «جائزة علي معاشي للمبدعين الشباب») إلى إعادة طرح هذا التساؤل عن طريق «صبرينة» بطلة عملها. نحن أمام نصّ ما بعد حدائي، تدور أحداثه في عمارة عبّرت عنها مريم بجملة ذات مضامين قوية، إذ تقول: «أنا الطابق الأرضي للعمارة... العمارة ذات الواجهة الواحدة، كامرأة طمسوا ثديها».

تشبّه العمارة/ المكان، بالمرأة التي طمسوا ثديها، للتعبير عن المرأة التي تُحاول مواجهة كلّ ما يحدث من هشاشة فطرية، وهشاشة غرسَها المُجتمع فيها، بالوقوف والصمود مجدداً كعمارة بواجهة واحدة، ما جعلها تستخدم المكان المتجسّد في العمارة، بكلّ ما فيها. حتّى السلالم ترى أنّ لها ذاكرة هي الأخرى: «للسلالم أيضاً ذاكرة»، ما يرسّخ لدى القارئ، فكرة المكان بدءاً من منظوره الخاص البيت، السلالم، العمارة، وصولاً إلى المدينة من منظورها العام الشوارع، الحارات.

وها هي الروائية والكاتبة الجزائرية الشابة تختار مدينةً، ليستْ كلّ المُدن. إنّها بوسعادة، مُلهمة كبار الفنانين والمستشرقين، هذه المدينة التي احبّها إتيان دينيه ودُفن فيها. فالكاتبة تتحدّث عنها بلسان «صبرينة»: «يقول أبي إنّه لا يمكن لفنّان أن يعرف بوسعادة ويتمكّن من تجاوزها بسهولة». وبدلاً من أنْ يُضيف هؤلاء إلى تراث المدينة، فإنها هي التي تقدمهم للعالم كما فعلتْ مع دينيه، إذْ لم تكن بوسعادة بالنسبة إليه ورشة مفتوحة فحسب، إنما أيضاً مُعبراً لذاته وهويته.

ويبدو أنّ لصبرينة أيضاً ما تقوله عن هذه المدينة التي ارتكز إليها النصّ، ليستقيم بُنيانه. إذ تقول: «إلى جانب أبي وأمي، كانت بوسعادة الطرف الثالث الذي شقّ مسارات داخل وعيي». فيا ترى ما علاقة المدينة بشخوص الرواية؟

انطلقت الكاتبة من الفضاء الخاص، ليجد القارئ نفسه في الفضاء العام. من خلال هذين الفضاءين، قدّمت مريم قراءتها في شخوص الرواية، هواجسهم، انفعالاتهم، أحلامهم المبتورة. ولعلّ المرأة، كانت أكثرهم حُضوراً، فهي دوماً مَن تأخذ نصيب الأسد من كلّ ما يدعو إلى التقليل من شأنها بدءاً من العائلة وصولاً إلى المجتمع. نرى ذلك في خال صبرينة التي أراد هذا المجتمع تزويجها رغماً عنها. ولأنّها اختبرت العريس الأكبر سِناً منها، بأنها تُريد أنْ تواصل دراستها، أشفقَ عليها وتركها، إذ أنّ خالها أوهَمه في البداية أنّها لا تدرس. الغريب في حقيقة الأمر كان أرحم عليها من القريب (الخال).

بعد هذه الحادثة، تخلّى الخال عن العائلة إلى الأبد، لتجد نفسها ووالدتها، في مواجهة المُجتمع الذي بطبيعة الحال لن يقابلها بالأحضان، بلْ سيُكشّر عن أنيابه وأحياناً يخترعُ أنياباً جديدة ليغرسها في أجساد النساء الضعيفات.

نكتشف مع صبرينة نسوة أخريات، ولكلّ امرأة حكاية مختلفة، فيما قد تختلف درجات تعاطف القارئ مع كل واحدة. الكاتبة نقلتْ هنا واقعاً لا زيف فيه يحدث في المُجتمعات المسكونة بـ «العيب والعار»، لكنّها لا تخاف ضميرها، إذ إنها تمارس كلّ شيء خفية، غير أنّها في العلن تحاول أنْ تبدو كأنّها منبع الفضيلة. ربطتِ الكاتبة أب صبرينة بالجبل، وبوسعادة في توليفة جميلة، يتعقّب القارئ من خلالها عبق التاريخ القادم من بوسعادة. تقول صبرينة: «من أعالي جبل كردادة، تبدو بوسعادة كطفلة مزهوة مُدلّلة.. يلفّ خاصرتها الجبل العظيم بكلّ ما أوتي ساعداه من بأس، تعانق عيناي ألوان المدينة التي سكبها دينيه في لوحاته وأنا على يمين أبي مُلتحفة ببرنوسة، أستنشقُ رائحة الوبر، ويوخز شقتي زغبه.. متدثرين على أنغام مذياعه الصغير».

عمارة أبي الجبل، لم تكن قطّ عمارة ذات واجهة واحدة منسيّة في بوسعادة، وإنّما هي عمارة لمجتمع أحادي التفكير، يرى الأشياء من أفق رؤيته الضيّق، مُهملاً باقي الزوايا.

إنها تعبير مصغّر عن تفكير بعض العوائل العربية تجاه المرأة ونظرتها الدونية لها. وفي المقابل يحمل نصّ «أبي الجبل»، ضوء نور لا يمكن أن يبهت أبداً، يبدو واضحاً من خلال العلاقة القوية والصادقة التي كانتْ تربط صبرينة بوالدها، والّذي كانت لا تراه إلاّ قوياً مثل الجبل.

نصّ «أبي الجبل» جيد من حيثُ الشّكل الأدبي الّذي قُدّم به، ومن اللّغة ورسائل الرواية. تبقى بعض الهفوات التي يمكنُ أن تتداركها الكاتبة مستقبلاً، فمريم يوسفي تمتلك الحرفة، وهذا شرطٌ مهمّ جداً في الكتابة، إلى جانب القراءة. فإمّا أن تكون كاتباً أو لا تكون، ومريم يوسفي كاتبة.

تشبّه العمارة/ المكان، بالمرأة التي طمسوا ثديها

أوراق

الفقرة الغريبة عن الحمس في سيرة ابن إسحق

زكريا محمد *

لدينا فقرة غريبة في سيرة ابن إسحق التي هذّبها ابن هشام، أي اختصرها، فصارت تُعرف أحياناً بسيرة ابن هشام عند بعضهم. ورغم غرابة هذا الفقرة، فقد أخذها الباحثون كمسلّمة تقريباً، ولم يكلّفوا أنفسهم عناء التدقيق فيها. تقول الفقرة: «وقد كانت قريش، لا أدري أقَبلَ الفيل أم بعده، ابتدعت رأي الحمس، رأياً رأوه وأرادوه؛ فقالوا: نحن بنو إبراهيم وأهل الحرم، وولاة البيت، وقُطّان مكة وساكنوها، فليس لأحد من العرب مثل حقنا، ولا مثل منزلتنا، ولا تعرف له العرب مثل ما تعرف لنا، فلا تعظموا شيئاً من الحلّ كما تعظمون الحرم، فإنكم إن فعلتم ذلك استخفت العرب بحرمتكم، وقالوا: قد عظموا من الحل مثل ما عظموا من الحرم».

وكما نرى، فإن هذه الفقرة تقدم لنا زعمين اثنين:

الأول: أن الحمس «رأي» ما ابتدعته قريش ابتداعاً في وقت ما ليس بعيداً جداً عن بدايات الإسلام.

الثاني: أن قريشاً كانت كلها حمساً.

هذان الزعمان أديا إلى تشويش هائل في فهمنا لديانة الجاهلية، ونهاياتها على وجه الخصوص، وإلى تشويش فهمنا لمهدات الإسلام وبداياته.

أما الزعم الأول، فمنقوض بقوة لدى بعض المؤرخين مثل اليعقوبي الذي يعلن أن الحمس شرعة دينية، وليست «رأياً» مبتدعاً: «كانت العرب في أديانهم على صنفين: الحمس والحلة... فهاتان الشرعتان اللتان كانت العرب عليهما» (اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي).

وكما نرى في هذا المقتبس، فإن العرب عموماً كانوا عند اليعقوبي مقسومين دينياً إلى شرعتين، أو طائفتين: الحمس والحلة. بالتالي، فالحمس طائفة دينية، وليست رأياً أو فكرة اخترعتها قريش في مكة. لكن الحقيقة أنّه كانت هناك طائفة ثالثة عند العرب هي طائفة الطلس: «ولم يذكر الطلس من العرب، وهم صنف ثالث غير الحمس والحلة» (السهيلي، الروض الآنف). يضيف الدكتور جواد علي «وأضاف بعض أهل الأخبار إلى هذين الصنفين، صنفاً ثالثاً قالوا له: «الطلس» (جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام). لكن لأن الطلس كانت طائفة بين بين، جزء منها يتبع طقوس الحمس وتقاليدها، والثاني يتبع طقوس الحلة وتقاليدها، فقد جرى التركيز على الطائفتين المركزيتين وإهمال هذه الطائفة في كثير من الأحيان.

وأما الزعم الثاني، القائل بأنّ قريشاً كلها حمس، فهو الزعم الأكثر شيوعاً والأخطر. إذ أنه يشوش فهمنا لواقع مكة الديني في نهاية الجاهلية. وهو ما يؤثر على فهمنا لبدايات الإسلام من خلال طمس الصراعات المذهبية العميقة في مكة التي نشأ الإسلام في عالمها. والحقيقة أنّ قريشاً كانت، في واقع الأمر، مقسومة إلى الطوائف الثلاث ذاتها التي انقسمت إليها العرب في ذلك الوقت: الحمس والطلس والحلة. أكثر من ذلك، فقد بيّنت في كتابي: «ديانة مكة في الجاهلية: كتاب الحمس والطلس والحلة» أنّ الرسول كان من طائفة الحلة، لا من طائفة الحمس، وأن عائلته كانت من هذه الطائفة أيضاً. وقد ظهر ذلك في ثلاثة أخبار من سيرة الرسول:

الخبر الأول: يقول بأن الرسول شوهد في الجاهلية وهو يقف بعرفة. وعرفة موقف الحلة لا موقف الحمس. أما موقف الحمس، فهو المزدلفة. وهم لا يقفون بعرفة لأن عرفة خارج نطاق الحرم، بينما المزدلفة داخل هذا النطاق. ووقوف الرسول بعرفه يشير بوضوح إلى أنه كان من طائفة الحلة.

وبعد فتح مكة، لم يُثبت الإسلام لا موقف الحمس ولا موقف الحلة، بل دمج بينهما وصار موقف الحج الإسلامي مزدوجاً. فالمسلمون يقفون بعرفة أولاً ثم يقفون بالمزدلفة بعد ذلك، كما ورد في سورة البقرة: «فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وإن كنتم من قبله لمن الضالين. ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس» (البقرة 198-199). أما كلمة الناس هنا فتعني: الحمس، الذين مفيضهم المزدلفة. عليه، فالآية تأمر المسلمين بأن يفيضوا من مفيض الحمس، أي المزدلفة، بعد إفاضتهم من عرفات: «ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس قيل: الخطاب للحمس، فإنهم كانوا لا يقفون مع الناس بعرفات، بل كانوا يقفون بالمزدلفة وهي من الحرم» (تفسير القرطبي). لكن الخطاب موجّه للمسلمين لا للحمس كما يعتقد القرطبي.

الخبر الثاني: أنه كان للرسول حَرَميّ، أي رجل من أهل الحرم وقطانه، أي من الحمس، كي يعيره ملابسه ليطوف فيها. فلم يكن مسموحاً للحلة بارتداء ملابسهم القديمة في طوافهم، كما لم يكن مسموحاً لهم الطواف بملابس جديدة يشترونها. لذا، كان لا بد للحاج الحلي من حرمي مكي، أي حمسي، كي يعيره ملابسه للطواف بها، فإن لم يجد طاف عارياً. وقد أثار هذا الخبر الاضطراب عند المفسرين لأنه يشير إلى أن الرسول غير حمسي، في حين أن قناعتهم أنه حمسي.

الخبر الثالث: أن الرسول كان غير مسموح له بدخول البيوت من أبوابها وقت الإحرام. وقد أثار هذا الحديث اضطراباً كبيراً عند المفسّرين لأنّ الحلة هي التي لا يسمح لها بدخول الأبواب في الحج، وهم يعتقدون أن الرسول حمسي.

بناء على ذلك، ففكرة أنّ قريشاً كلها حمس طرأت بعد الإسلام، وفي العصر الأموي على وجه الخصوص في اعتقادي. ثم أصبحت فكرة سائدة منذ ذلك الوقت. حتى اليعقوبي نفسه الذي أفهمنا أنّ الحمس والحلة شرعتان عامتان بين العرب، عاد ليخضع لهذه الفكرة الخاطئة ويقول لنا إنّ قريشاً كلها حمس: «وكانت العرب في أديانهم على صنفين: الحمس والحلة. فأما الحمس فقريش كلها، وأما الحلة فخزاعة لنزولها مكة ومجاورتها قريشاً» (اليعقوبي). وهكذا تتحول شرعة الحمس إلى شيء خاص بقريش وحدها، ولا تشمل العرب الآخرين. وهذا هو جوهر الفكرة التي أتت بها فقرة ابن إسحق الغريبة.

ساندو بيرك: «منظر مكة من جبل النور» (2014)

> طمس الصراعات المذهبية العميقة في مكة التي نشأ الإسلام في عالمها

لكن من هو الذي أضاف فقرة الحمس الغريبة هذه إلى سيرة ابن إسحق؟ قد يظن المرء أنّ ابن هشام، الذي «هذّب» سيرة ابن إسحق هو من فعل ذلك. فهو قد أعلن بوضوح أنه حذف أشياء من سيرة ابن إسحق. لكنني أعتقد أن الأمور كانت قد رسخت في وقت ابن هشام، ولم يعد لا هو ولا غيره بقادر على إحداث تغيير بهذا الحجم. كما أنه لم يكن أحد في زمانه ليقبل بمثل هذا التغيير. أكثر من ذلك، فأنا أعتقد أن ابن إسحق لم يكن المسؤول عن إدخال هذه الفقرة في سيرته. فهو قد أخذها عن غيره في ما يظهر.

ابحث عن المستفيد

وللوصول إلى من زرع فكرة هذه الفقرة في سيرة ابن إسحق، علينا في ما يبدو أن نبحث عن المستفيد من إضافتها. واعتقادي القوي أن بني أمية، الذين هم من عبد شمس بن عبد مناف، كانوا المستفيدين من ترويج فكرة أنّ قريشاً كلها حمس. فقد كانت عبد شمس من طائفة الحلة، ومن حلف طائفة الحلة الذي هو حلف «المطيبين». أما الحمس، فكان حلفهم هو حلف «الأحلاف» أو «لعقة الدم» كما يسمى أيضاً. لكن قبيل الدورة الأخيرة من الحفل الطقسي - المسرحي الذي كان يُقام في مكة من أجل عرض الأحداث التي أدت إلى تشكيل الحلفين، انشق بنو عبد شمس عن حلف «المطيبين» وانضموا إلى حلف «لعقة الدم»، أي خرجوا من حلف الحلة المطيبين، وانضموا إلى حلف الحمس لعقة الدم. ويظهر هذا بوضوح في خبر سرقة غزال الكعبة، الذي كان جزءاً من العرض - الحفل الذي نتحدث عنه. ومع خروجهم من حلف المطيبين، تحول اسم هذا الحلف إلى «حلف الفضول»، أي حلف من فضل وتبقى من «حلف المطيبين» بعد خروج عبد شمس.

إذن، فالحادثة الكبرى التي جرت في شباب الرسول، وقبل بعثته، كانت انشقاق عبد شمس عن حلف الحلة، حلف المطيبين، الذي كان بقيادة بني هاشم، وزعيمهم في ذلك الوقت عبد المطلب، جد الرسول. وقد حدث ذلك في ما يبدو على أرضية اقتصادية. فبنو أمية كانوا قد ازدادوا ثراء في نهاية الجاهلية حدّ أنهم لم يعودوا يطيقون السير وراء زعامة آل هاشم الذين تراجع موقعهم الاقتصادي بحدة. وكان لهذه النقلة الكبيرة التي اتخذها بنو أمية أثر حاسم في مصير مكة لاحقاً، بل وفي مصير الإسلام ذاته.

ومن الواضح أنه كان من مصلحة بني أمية بن عبد شمس، الذين صاروا ممثلين للإسلام بعد سيطرتهم على الخلافة، تضليل الناس بشأن هذه الحادثة التي كانت في جوهرها انشقاقاً عن عائلة الرسول، بني هاشم بن عبد مناف الذين انبثق من بينهم الإسلام. بذا يمكن افتراض أنه جرى في عهد سيطرتهم، العهد الأموي، طمس واقع التنوع الطائفي في مكة الجاهلية، وتحويل مكة كلها إلى حمس. فهذا يعفيهم من الحرج، حرج الانشقاق عن عائلة الرسول، وينسي الناس فكرة قد تفيد أخصامهم الساعين إلى ضرب شرعيتهم. فحين تصير قريش كلها «حمس»، فلن يكون هناك مجال للحديث عن انشقاق عبد شمس عن أبناء عمومتهم بني هاشم وانضمامهم للحمس.

أما الشخص الذي كان لديه من الإمكانيات ما يجعله قادراً على تعمية التاريخ، وتحويل قريش من مجتمع متعدد الطوائف إلى مجتمع من طائفة واحدة، لا مجال فيه للانشقاق والخروج، فهو في ظني ابن شهاب الزهري، أحد أساتذة ابن إسحق، بل أستاذه الأكبر. وعلاقة الزهري بابن إسحق معروفة جيداً. كما أن علاقته الوطيدة ببني أمية معروفة جداً أيضاً. فقد كان فقيراً معدماً، فأقاله بنو أمية من الفقر ورفعوا شأنه. وقد حدثنا هو عن كيف بدأت هذه العلاقة. فقد أدخله قبيصة بن ذؤيب إلى ديوان عبد الملك ابن مروان، حيث فرض له بالديوان، ثم أمر بإثباته في صحابته وأن يجري عليه رزق الصحابة. وقد تحول الزهري بعد ذلك إلى شخصية أيديولوجية كبيرة الشأن عند الأمويين.

لقد أخرج الأمويون ابن شهاب الزهري من العدم إلى الرفاه والشهرة. ويبدو أنه رد لهم جميلهم، بأن أخلى قريشاً في الجاهلية من الطوائف، وجعل الحمس وحدهم فيها، معفياً إياهم من الحرج التاريخي: حرج الانشقاق عن عائلة الرسول. وهو ما أدى إلى تشويش معرفتنا بقريش وبمكة وبنهايات الجاهلية وبدايات الإسلام.

* شاعر فلسطيني